المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم

وما قالوه في منتهى أعمارهم

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

الكتاب: المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم

المؤلف: الإمام أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري المتوفى سنة 235 هجرية،

رواية أبي روق الهمداني عنه، رحمة اللّٰه عليهما

طبعة ببلومانيا 1440 هـ - 2020 م - القاهرة

- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**
- **تصميم الغلاف: فريق ببلومانيا**
-
- **رقم الإيداع : 2020 / 5891**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6808-12- 7**
- **تنسيق وإخراج: ببلومانيا**
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم

وما قالوه في منتهى أعمارهم

تأليف:

الإمام أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني
البصري المتوفى سنة 235 هجرية، رواية أبي روق
الهمداني عنه، رحمة اللّٰه عليهما

www.bbibliomania.com

2020

كتاب

(المُعَمرين) من العرب وطُرف من أخبارهم، وما قالوه في منتهى أعمارهم

تأليف:

الإمام أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري المتوفى سنة 235 هجرية، رواية أبي روق الهمداني عنه، رحمة اللّه عليهما

(فائدة) – لا تعد العرب معمَّرًا إلا من عاش مئة وعشرين فما فوقها ... وقيل: مئة سنة وستًّا وعشرين سنة فصاعدًا

عُني بتصحيحه وتعليق حواشيه مع ما أُضيف إليه من الزيادات:

السيد محمد أمين الخانحبي الكتبي بقراءته على الأستاذ اللغوي

الأديب الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو حاتم سهل (بن محمد) بن عثمان السجستاني ... ذكر أبو عبيدة، وأبو اليقظان، ومحمد بن سلام الجُمَحي وغيرهم: أن أطول بني آدم عمرًا الخضر[1] عليه السلام، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم عليه السلام. وقال ابن إسحاق: حدَّثنا أصحابنا أن آدم عليه السلام لمَّا حضرته

---

[1] — فائدة — ذهب عامة متأخري المتصوّفة إلى القول بحياة الخضر عليه السلام، ويذكرون عن اجتماعهم به، والتلقّي عنه حكايات أمالوا بها قلوب العامة، حتى لا ترى عاصمة من العواصم الإسلامية إلا وبها مسجد منسوب إليه يذكرون أن به اجتمع فلان بالخضر، فينذرون له النذور ويقصدونه للتبرُّك، وقد وافقهم على ذلك بعض ضعفاء العلم، ومرجعه في ذلك إلى أحاديث وردت في الباب لا يرتقي مجموعها على اختلاف طرق رواتها إلى درجة الضعيف، وقد حكم عليها ابن الجوزي بالوضع عامة، وكذا المجد الشيرازي في آخر كتابه سفر السعادة، والسيوطي في كراسة له أورد فيها الأبواب التي عامة ما ورد فيها فهو موضوع، ونص عبارته: باب في تعمير الخضر وإلياس، سُئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر، وأنه باقٍ ويُروى عنه، فقال: من أجاب على غائب لا ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان. وسُئل الإمام البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهر الأرض أحد. قال ابن الجوزي: قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ}.

الوفاة جمع بنيه وقال لهم: يا بَني إن اللَّه مُنزِلٌ على أهل الأرض عذابًا، فليكن جسدي معكم بالمغارة، حتى إذا هبطتم فابعثوا بي وادفنوني بأرض الشام. فكان جسده معهم، فلما بعث اللَّه تعالى نوحًا عليه السلام ضم ذلك الجسد، وأرسل اللَّه تعالى الطوفان على الأرض، فغرقت الأرض زمانًا، فجاء نوح عليه السلام حتى نزل ببابل، وأوصى بنيه الثلاثة، وهم: سام ويافث وحام أن يذهبوا بجسده إلى المكان الذي أمرهم أن يدفنوه فيه، فقالوا: الأرض وحشة ولا أنيس بها ولا نهتدي الطريق، ولكن نكف حتى يأمن الناس ويكثروا، وتأنس البلاد وتجف. وقال لهم نوح عليه السلام: إن آدم قد دعا اللَّه أن يُطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة. فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولَّى دفنه، وأنجز اللَّه له ما وعده، فهو يحيا إلى ما شاء اللَّه أن يحيا.

(1) وعاش* نوح النبي صلى اللَّه عليه وسلم ألفًا وأربعمئة وخمسين سنة، ذكر ذلك إسماعيل بن أبي عيَّاش العبدي عن أنس قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لمَّا بعث اللَّه نوحًا إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومئتي سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبقى بعد الطوفان خمسين سنة ومئتي سنة، فلمَّا أتاه ملك الموت قال: يا نوح، يا أبا كُبُرِ الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مُجاب الدعوة،

كيف رأيت الدنيا؟ قال: مثل رجل بُنيَ له بيت له بابان، فدخل من واحد وخرج من الآخر. وقد قيل: دخل من أحدهما وجلس هُنيَّة ثم خرج من الباب الآخر.

(2) قالوا* وكان أطول الناس عُمرًا بعد الخضر: لقمان[2] بن عاديا الكبير، عاش خمسمئة سنة وستين سنة، عاش عمر سبعة أنسُر عاش كل نسر منها ثمانين عامًا، وكان من بقية عاد الأولى. حدثنا أبو حاتم[3] قال: قال أبو الجنيد الضرير: أخبرنا: أخبرنا بذلك الحسين بن خالد عن سلَّام عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن محمد بن إسحاق وغيره، فأما غير الحسين فذكر أنه عاش ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة، واللَّه أعلم أيُّ ذلك كان ... وكان من وفد عاد الذين بعثهم

---

[2] قوله لقمان: قال شارح القاموس: هذا غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد داود عليه السلام. وقوله: عاديا هكذا مثبوت بالأصل ، والصحيح بحذف الياء المثناة.

[3] قوله حدثنا أبو حاتم: قائل ذلك أبو روق الهمداني راوي هذا الكتاب عن أبي حاتم مؤلفه ، ينقل عنه فيه ويُغلِّطه في أماكن كثيرة كما سنقف عليه.

قومهم إلى الحرم ليستسقوا لهم، وكان أُعطِيَ من العمر عمر سبعة أنسُر، فجعل يأخذ فرخ النسر الذكر، فيجعله في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربَّاه، حتى كان آخرها لبَدًا وكان أطولها عمرًا، فقيل: طال الأبد على لبد. وقال في ذلك لبيد بن ربيعة الجعفري من بني كلاب:

ولقد جرى لُبَدٌ فأدرك جريهُ	ريبُ الزمان وكان غير مُثقَّلِ

وقال لبيد أيضًا:

لمَّا رأى لُبَدُ النسور تطايرت	رفع القوادم كالفقير الأعزلِ
من تحته لقمان يرجو نهضَهُ	ولقد رأى لقمان أن لا يأتلي

وقال الضبي:

أولَم ترى لُقمان أهلكه	ما افتات من سَنَةٍ ومن شهرِ
وبقاءُ نَسر كُلما انقرضَتْ	أيامه عادت إلى نَسرِ

وقال الأعشى:

لنفسك إذ تختار سبعة أنسُرٍ	إذا ما مضى نَسرٌ خلوتَ إلى نسرِ
فعُمِّرَ حتى خال أن نسوره	خلودٌ وهل تبقى النفوس على الدهرِ
وقال لأدناهُنَّ إذ حلَّ رِيشُهُ	هلكتَ وأهلكتَ ابن عادٍ وما تدري

قال: وأعطى من السمع والبصر على قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة، وقال الذبياني[4]:

أمسَتْ خلاءً وأمسى أهلها احتملوا	أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

قال أبو حاتم – أخنى أفسدَ.

(3) قالوا وكان من بعده سَطيح* وُلد في زمن السيل العَرِم، وعاش إلى مُلكِ ذي نواس، وذلك نحو من ثلاثين قرنًا،[5] وكان مسكنه البحرين، وزعمت عبد القيس أنه منهم، وتزعم الأزد أنه منهم، وأكثر المحدثين يقولون هو من الأزد، ولا ندري ممن هو، غير أن ولده يقولون أنهم من الأزد.

---

[4] قوله الذبياني: أي النابغة ... والبيت في شرح القاموس:

أضحَتْ خلاء وأضحى أهلها احتملوا

... إلخ.

[5] القرن: الحين من الدهر ... وذكر الحربي الاختلاف في قدره بالسنين من عشر سنين إلى مئة وعشرين ، ثم قال: ليس منه شيء واضح ، ورأى أن القرن: كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد. وقال الحسن وغيره: القرن عشر سنين. وقتادة: سبعون. والنخعي: أربعين. وزرارة بن أبي أوفى: مئة وعشرين. وعبد الملك بن عُمير: مئة. قلت: وهذا القول اختيار صاحب القاموس ، وقال: هو الأصح ، لقوله صلى الله عليه وسلم لغلام: عِش قرنًا ، فعاش مئة سنة.

(4) قالوا*: والمعافر بن يعفُر بن مُر بعد هذين فمات، فلما حضره الموت حفروا له حُفَيرة، وبنوا له بيته (يعني قبره)، فأخذ صخرة فكتب فيها:

أنا المعافر بن يُعفُر بن مُر	ولستُ من ذي يمنٍ بِقُر
لكنني مُضَرِي حُر	

يقول: لست منهم ذا أصل يقول أنا يماني الدار، وأنشد لطرفة:

فتناهيتُ وقد صابَتْ بِقُر[6]

فوجد في زمن سليمان بن داود، فكشف عنه فوجد فيها، ووجد عنده الكتاب.

---

[6] قوله صابت: أي وقعَتْ. وقوله بقر: من الاستقرار ؛ أي استقرَّتْ حالي على أمرها ، وأول البيت:

سادرًا أحسب غَيِّي رشدًا

(5) وقالوا خرج رجل من قريش قبل مخرج النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فركب البحر فانكسرت سفينته، فوقع في جزيرة في أرض لا يرى بها أنيسًا، فبينا هو يطوف في تلك الجزيرة؛ إذ هو بشيخٍ كبير مُجتمِع العلم ... فقال: من أنت؟ قلتُ: رجل من العرب. قال: من أي العرب؟ قلت: رجل من قريش. قال: بأبي وأمي قريش، وأين مساكنها اليوم؟ قلت: بمكة. قال: فهل خرج محمد بعد؟ قلت: وما خروج محمد؟ قال فقصَّ عليَّ كيف يكون خروجه، وأخبرني أنه نبي، وأنه سيخرج، فإذا خرج فاتَّبعه وقُص أمره، ثم قال لي: أعالمٌ أنت بمكة؟ قلت: نعم. قال: فهل تعرف مكانًا يُقال له المطابخ؟ قلت: نعم. قال: أفتدري لِمَ سُمِّيَ المطابخ؟ قلت: لا. فقال: إن جيشين مِنَّا تواعدوا للقتال، فنزل أحدهما شرقي الجبل، ونزل الآخر غربيه، فنحرنا فيه الجُزُر من جانبيه جميعًا، فأطبخنا فَسُمِّي بنا المطابخ. ثم قال: هل تعرف مكانًا بمكة يُقال له القُعيقِعان؟ قلت: نعم. قال: فهل تدري لِمَ سُمِّيَ قُعيقِعان؟ قلت: لا. قال: فإنَّا لَمَّا خرجنا من المطابخ للقتال فاجتمعنا بذلك الجبل فاقتتلنا فيه وقعقعوا السلاح سميناه: قعيقعان. ثم قال: هل تعرف فيها بقعة يُقال لها: فاضح؟ قال: أجل، نعم. قال: فهل تدري لِمَ سُمِّيَ فاضحًا؟ قلت: لا. قال: فإننا تناجزنا فاقتتلنا قتالًا فضح بعضنا بعضًا، فسمَّيناه فاضحًا. ثم

قال: هل تعرف فيها موضعًا يُقال له أجياد؟ قال: قلت نعم. قال: فهل تدري لِمَ سمِّيَ أجيادًا؟ قلت: لا. قال: فإنا لما أتيناه على جريدة خيل فاقتتلتْ فيه الخيل ليست فيها رجالة سُمِّيَ أجيادًا لجياد الخيل. ثم انصرف عني إلى الروضة، فقلتُ: يا عبد اللَّه، سألتني فأخبرتك، فأخبِرني من أنت؟ فالتفتَ إليَّ فقال مُجيبًا:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيسٌ ولم يَسمُر بمكة سامِرُ
بلى نحن كُنَّا أهلها فأزالنا	صروف الليالي والجدود العواثِرُ

فظننَّا أنه الحارث بن مضاض الجرهمي مُدَّ له في العمر إلى ذلك اليوم. وبعضهم يقول شيخ من جرهم.

(6) قالوا*: وكان من أطول من كان قبل الإسلام عُمرًا: رُبَيْع[7] بن ضبُع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة. عاش أربعين وثلاثمئة سنة ولم يسلم. وقال لما بلغ مئتي سنة وأربعين سنة[8]:

أصْبَحَ مني الشباب قد حَسَرَا	إن يناأ عنِّي فقد ثَوَى عُصُرًا
ودَّعنا قبل أن تُوَدِّعَهُ	لمَّا قضى من حِماعنا وَطَرًا
ها أنا ذا آمُل الخلود وقد	أدْرَكَ عقلي ومولدي حُجُرًا
أبا امرئ القيس هل سمعتَ به	هيهات هيهات طال ذا عُمُرًا
أصبحتُ لا أحملُ السلاح ولا	أملِكُ رأسَ البعير إن نَفَرَا
والذئبَ أخشاهُ إن مررتُ به	وحدي وأخشى الرياح والمطرَا

[7] قوله رُبيع بالتصغير هكذا المعروف ، وقيل: ربيع كأمير. وحكى بعضهم: ربيع ابن ضُبيع بتصغيرهما معًا.

[8] قلت: وفي غير الأصل أن تبع الفزاري كان من المعمرين ، وأنه دخل على بعض خُلفاء بني أمية ، فسأله عن عمره فقال (الأبيات) مع تغيير في بعض الألفاظ.

من بعدِ ما قوةٍ أُسَرُّ بها	أصبحتُ شيخًا أُعالِجِ الكِبرا

وقال لمَّا بلغ مئتي سنة:

ألا أبلغ بَنِيَّ بَنِي ربيعٍ	فأشرارُ البنين لكم فِداءُ
بأني قد كبرتُ ودَقَّ عظمي	فلا تشغلكم عني النساءُ
وإنَّ كنائِني لنساءُ صدقٍ	وما آلى بَنِيَّ وما أساؤا

ويُروى: (وما ألى)، والتَّألِيَة: التقصير. ومن قال (وما آلى) فالمعنى: ما أقسموا أن لا يبرُّوني. حدَّثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو الأسود النوشجاني، عن العمري، عن أبي عمرو الشيباني قال: سألني القاسم بن معن عن قوله: (وما آلى بني وما أساؤا)، قلتُ: أبطأوا، قال: ما تركت في المسألة شيئًا. رَجْعٌ إلى بقية الشعر:

إذا جاء الشتاء فأدفِئوني	فإنَّ الشيخ يهدِمُهُ الشتاءُ
فأما حين يذهبُ كلُّ قُرٍّ	فسربالٌ خفيفٌ أو رِداءُ
إذا عاش الفتى مئتين عامًا	فقد أودَى المسرَّةُ والفَتَاءُ

ويُروَى: (فقد ذهب التخيُّل والفتاءُ)، والفتاء مصدر الفُتِيُّ.

(7) وقالوا* إن معاوية أتى برجل من جرهم[9] قال: ما أسكنك هذه البلدة؟ قال: خرج قومي من مكة وتفرَّقوا في البلاد، فخرج أبي نحو الشام، فلم أزل بها. قال: كم أتى عليك؟ قال: أربعون ومئتا سنة. قال: فمِمَّن أنت؟ قال: من جرهم. قال: كذبت، لستَ منهم. قال: فكيف تسألني إذًا؟ قال: كم أتى عليك من الزمان؟ قال: كالذي أتى عليك. فظنَّ معاوية أنه يعني هُلكَه، فقال: كذبت. قال: فكيف رأيت الدهر؟ قال: سنيَّات بلاءٍ وسنيَّات رخاء، ويوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يهلك والد ويخلف مولود، فلولا الهالك لامتلأتْ الدنيا، ولولا المولود لم يبقَ أحد.[10] قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم،

---

[9] قوله من جرهم: في هامش الأصل سمَّاه عُبيد بن شرية الجرهمي.

[10] في غير الأصل ، ثم أنشد:

وما الدهر إلا صدرُ يوم وليلة	ويُولدُ مولودٌ ويفقد فاقدُ
وساعٍ لرزقٍ ليس يدرك قُوته	ومهدي إليه رزقه وهو قاعدُ

مع اختلاف في بعض ألفاظ الخبر ، كقوله: سُنيهات بدل سنيَّات ، وكقوله: يوم في أثر يوم ، وليلة في أثر ليلة بدل يوم شبيه ... إلخ.

يقوده ذكوان عبده، فقال: كُفَّ فقد جاء غير ما ذكرت. قال: فأيُّ المال أفضل؟ قال: عين خرَّارَة في أرضٍ خوَّارة. قال: ثم مَهْ؟ قال: فرس في بطنها فرس يتبعها فرس قد ارتبطت منها فرسًا. قال: ثم مَه؟ قال: عِدَّة أيام السنة ضأنًا أضمن لصاحبها الغنى.

(8) قالوا* وعاش الأضبط بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ... عمرًا، ثم مات في آخر الزمان، وقد كان له حمَّام بالحيرة، فقال الأضبط:

يا قوم من عاذري من الخُدَعَة[11]	والمُسيُ والصبح لا فلاح معه
ما بالُ من غَيَّهُ مُصيبُك لا	تملِكُ من أمره الذي وَزَعَه
حتى إذا ما انجلَتْ عَمَايَتُهُ	أنْحَى عليه وأمرُهُ فَجَعَه

[11] قلت: يُروى في غير الأصل: (لكل هم من الهموم سعة البيت ...) ويُروى الثاني:

ما بال من سرَّهُ مُصيبُك لا	يملك من أمره الذي وزَّعه

وفي البيت رواية أخرى مع اختلافٍ قليل في باقي الشعر.

وَصِلْ وصال البعيد ما وصل الـ	حَبْلَ وأقصِ القريب إن قطعه
واقبَلْ من الدهر ما أتاك به	مَنْ قَرَّ عَينًا بعيشهِ نَفَعَه

(9) قالوا*: وعاش المستوغِر بن ربيعة بن كعب ثلاثًا وثلاثين وثلاثمئة سنة،[12] وقال في ذلك:

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولها	وعَمِرْتُ من عدد السنين مئينًا
مئة حَدَتْها بعدها مئتان لي	وعَمِرْتُ من عدد الشهور سنِينًا
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا	يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحدونا

بقى: يريد بَقِيَ، وهي لغة، وأنشد:

لقاذعتُ كعبًا فأبقيتُ وما بقا

وقال المفضَّل عاش زمنًا طويلًا، وكان من فرسان العرب في الجاهلية، وكان رجل من فِتيان قومه يجلس إليه،

---

[12] قلت: وقال غير أبي حاتم: عاش المستوغر ثلاثمئة سنة وعشرين سنة ، فأدرك الإسلام أو كاد يُدرك أوّله ... وقال ابن سلام: كان المستوغر قديمًا ، وبقي بقاءً طويلًا حتى قال (وأنشد الأبيات).

وكان لذلك الرجل صديق يُقال له عامر، وكان الفتى يقول لعامر: إن امرأة المستوغر صديقة لي، وهو يُطيل الجلوس، فأُحبُّ أن تجلس معه، حتى إذا أراد القيام تثاءبتَ ورفعتَ صوتك بالثُّؤَباء حتى أسمع وأنصرِفُ من عندها من قبل أن يفجَأُنا ونحن على حالنا تلك. وإنما كان الفتى صديقًا لأم عامر، فأراد أن يشغله بحفظ المستوغر، فيخالف الفتى إلى أم عامر فيكون معها حتى إذا سمع التثاؤب يخرج، ففطن المستوغر لعامر وما يصنع، فاشتمل على السيف وجلس، حتى إذا لم يبقَ غيره وغير عامر قال: ألا ترى والذي أحلف بن، لئن رفعتَ صوتك لأضرِبَنَّكَ بالسيف. فسكت عامر، فقال له المستوغر: قُم معي. فقاما إلى بيت المستوغر، فإذا بامرأته قاعدة بزينتها. فقال: هل ترى من بأس؟ قال: ما أرى بأسًا. قال المستوغر: فانطلِق بنا إلى أهلك. فانطلقا، فإذا هو بالفتى مُتبطِّنًا أم عامر معها في ثوبها، فقال له المستوغر: انظر إلى ما ترى. ثم قال: لعلَّني مضلل كعامر. وقال أبو

حاتم: وإنما المثل حسِبتني مضلَّلًا كعامر، فذهب قوله مثلًا. وإنما سُمِّيَ المستوغر[13] لأنه قال في الشعر:

يَنِشُّ الماء في الرَّبَلَات منها	نَشِيشَ الرَّضفِ في اللبَنِ الوَغِيرِ

(10) قالوا*: وعاش أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أُسَيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور فيما رواه أهل الأخبار: ثلاثمئة وثلاثين سنة، وأدرك الإسلام. وقالوا: لمَّا سمع أكثم بخروج النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعث إليه ابنه حبيشًا ليأتيه بخبره، وقال يا بُنَي إني أعِظُكَ بكلماتٍ فخُذ بهن من حين تخرج من عندي إلى أن ترجع، (فذكر قصة طويلة، فيها): فكتب إليه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «أحمد إليك اللَّه

---

[13] قلت: اسمه عمرو، ولُقِّبَ بالمستوغر لقوله: (ينش الماء) البيت، يصف فيه فرسًا، والنش صوت الماء إذا غلى ... والربلات: واحدة ربلة: وهي باطن الفخذ ... والرصف: الحجارة المحماة يوغر بها اللبن: أي يغلي ... والوغير: اللبن يُسَخَّن بالحجارة المحماة.

الذي لا إله إلا هو، إن اللَّه أمرني أن أقول لا إله إلا اللَّه». فقال أكثم لابنه: ماذا رأيت؟ قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها. فجمع أكثم قومه، ودعاهم إلى اتّباعه، وقال لهم إن سفيان بن مجاشع سمَّى ابنه محمدًا حُبًّا في هذا الرجل، وأن أسقُف نجران كان يخبر بأمره وبعثه، فكونوا في أمره أوَّلًا، ولا تكونوا آخرًا. فقال لهم مالك بن نُوَيرة: إن شيخكم خرِف. فقال أكثم: ويلٌ للشجي من الخلي، واللَّه ما عليك آسى، ولكن على العامة، ثم نادى في قومه، فتبعه منهم مئة رجل، منهم: الأقرع بن حابس، وسلمى بن القيس، وأبو تميمة الهجيمي، ورياح بن الربيع، والهُنيد، وعبد الرحمن بن الربيع، وصفوان بن أُسَيْد. فساروا حتى إذا كانوا دون المدينة بأربع ليالٍ كره ابنه حبيش مسيره، فأدلج على إبل أصحاب أبيه فنحرها، وشقَّ قِرَبِهِم ومزاداتهم، فأصبحوا ليس معهم ماء ولا ظهر، فجهدَّهم العطش، وأيقن أكثم بالموت فقال لأصحابه، أقدِموا على هذا الرجل فأعلِموه بأني أشهدُ أن لا إله إلا اللَّه وأنه رسول للَّه، وانظروا إن كان معه كتاب بإيضاح ما يقول فآمِنوا به واتَّبِعوه وآزروه. قال: فقدموا عليه فأسلموا. قال: فبلغ حاجبًا ووكيع خروج أكثم، فخرجا في أثره، فلمَّا مرَّا بقبره أقاما به ونحرا عليه جزورًا، ثم قدما على أصحابه فقالا لهم: ماذا أمركم به أكثم؟ فقالوا: أمرنا

بالإسلام. قال: فأسلما معهم ... وقالوا: بل عاش مئة وتسعين سنة، وقال حين بلغ ذلك:

وإن امرأً قد عاش تسعين حُجَّةً	إلى مئة لم يسأم العيش جاهلُ
أتتْ مئتان غير عشرٍ وفائِها	وذلك من مَرِّ الليالي قلائِلُ

قال أبو حاتم: وذكر أهل العلم أن قوله تعالى: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} الآية، نزلت في أكثم بن صيفي، وروينا ذلك عن عمرو بن محمد السعدي عن عامر الشعبي قال: سألتُ ابن عباس عن هذه الآية، فقال: نزلَتْ في أكثم بن صيفي. قلت: فأين الليثي؟ قال: كان هذا قبل الليثي بزمان، وهي خاصة عامة ... وروينا أيضًا عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس أن الآية المذكورة نزلَتْ فيه.

قال أبو حاتم: وقالوا: قال أكثم بن صيفي ... [14] «في العافية خلف من الواقية»، «وستُساق إلى ما أنت لاقٍ»، «أراني غنيًّا ما دمتُ سويًّا»، «إن رُمتَ المحاجزة فقبل المُناجزة»، «عاداك من لاحاك»،[15] «خلِّ الوعيد يذهب في البيد»، «إنك لا تبلغ بلدًا إلا بزاد»، «لا تسخرَنَّ من شيءٍ فيحور بك»، «إنك ستَخَال ما لا تنال»، يريد: إنك ستتعنَّى ما لا تقدِر، (والمعنى: أنك تظن كل يوم أنك تبقى إلى غدٍ، وتظن الغد أنك تبقى إلى بعد الغد، وذلك ما لا يكون). «رُبَّ لائمٌ ومُليم»، «لا تهرِف بما لا تعرِف»، «وإذا تكلَّفتَ غي الناس كنت أغواهم»، «ليس من القوة التورُّط في الهُوَّة»، «والي أمه يجزع من لَهِف»،

---

[14] قلت: سقط من الأصل المنقول عنه هذه النسخة ورقة واحدة ، وأول النقص ما يلي بيت المستوغر المتقدم ، وآخره قول أكثم ، والعافية خلف ... إلخ. ولا أعلم بعد تتبُّع فهارس دور الكتب الشرقية والغربية أن هناك نسخة أخرى ، وما ذكرته من ترجمة أكثم هذا أخذته من كتاب: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني ، وقد ترجمه في القسم الثالث من كتابه المذكور ، ولم أنقل عنه هنا إلا ما نقله عن أبي حاتم نفسه من كتاب المعمرين إلا حكاية نسبه ، فإنه أوردها غير معزُوَّه إلى أبي حاتم.

[15] في غير الأصل يُروى: من لاحاك فقد عاداك.

«جَدَّك لا كدك»،[16] «اسمع بجد جُدَّ أودَع»، «إن بعد الحول أولًا، وإن مع اليوم غدًا»،[17] وإن أخاك من آتاك»، يريد واتاك. «من يَطُل ذيله ينتطِق به»، إن أخا الظلم أعشى بالليل»،[18] «ومن حظك موضع حقك»، «لا تلزم أخاك ما ساءَك»، و«من خير خبر أن تسمع بمطر»، و«ناصح أخاك الخبر، وكن منه على حذر»، «ولِّ الثُّكل غيرك، فإن العقوق ثكل من لم يَثكل»، و«من لك بأخيك كُلِّه»، و«التَّجرُّد لغير نكاح مثلة»، و«لا تكوننَّ راضيًا بالقول»، «الحرصُ يَلهَمُ العِرض»، " يريد يأكله. «لا تحمدنَّ أَمَة عام اشترائها، ولا فتاة عام هِدائها»، «لا تلُم أخاك ما آساك».

---

[16] في غير الأصل يُروى: «اسعَ بجدِّكَ لا بكدِّك».
[17] في غير الأصل يُروى: «إن مع اليوم غدًا يا مسعدة».
[18] في غير الأصل يُروى: «أخو الظلماء أعشى بالليل».

قالوا: وجمع أكثم بن صيفي بَنيه، فقال: يا بَنيَّ، قد أتتْ عليَّ مئتا سنة، وإني مزودكم من نفسي؛ عليكم بالبرِّ يُنمِّي العدد، وكُفُّوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل فكَّيه، إن قول الحق لم يدع صديقًا، وإنه لا ينفع من الجزع الثَّبكِّي، ولا مما هو واقع التَّوقِّى، وفي طلب المعالي يكون العَرَر (ويقال: يكون العَوَرَ)، الاقتصاد في السعي أبقى للجِمال، ومن لا يأسَ على ما فاته ودَّعَ بدنَه، ومن[19] قنع بما هو فيه قرَّتْ عينه. التَّقدُّم قبل التَّندُّم، إن أُصبح عند رأس الأمر أُحبُّ إليَّ من أن أُصبح عند ذنبه، لم يَهلك من مالك ما وعظك. ويلٌ لعالمِ أمرٍ من جاهله. الوحشة ذهابُ الأعلام (أي: العظماء)، ويتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أدبر عرفه الأحمق والكَيِّس. البطر عند الرخاء حُمْق، والجزع عند النازلة آفة التجمُّل، ولا تغضبوا من اليسير

---

[19] في غير الأصل: «بدل ودع بدنه أراح نفسه».

20 في غير الأصل: البطر عند الرخاء حمق ، والعجز عند البلاء أمن.

فإنه يجني الكثير. لا تجيبوا فيما لا تُسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه. تناءوا في الديار ولا تباغضوا، فإن من يجتمع يتقعقع عمَدُهُ (أو: عُمُدُه، يُقالان جميعًا)، ولقد رأيتُ جبلًا مطلًا تزايله حجارته، ولقد رأيته أملس ما فيه صدع. ألزموا النساء المهانة، ولنعم لهو الحرَّة المغزل. وأحمق الحُمق الفجور، وحيلة من لا حيلة له الصبرُ. إن كنتَ نافعي فوارِ عني عينك. إن تعِشْ ترَ ما لم ترَ. قد أقرَّ صامت. المِكثار كحاطب الليل، ومن أكثر أسقط. والسَّرْوُ الظاهر: الرَّيَّاش. لا تبوُلُوا على أكَمَة، ولا تُفشوا سِرًّا إلى أمة. من لم يرجُ إلا ما هو مستوجب له كان قَمِنًا أن يدرك حاجته. ولا تمنعنكم مساوي رجل من ذكر محاسنه.

حدَّثنا أبو روق قال: حدثنا أبو عمرو بن خلَّاد عن محمد بن حرب الهلالي قال: قال أكثم بن صيفي لولده: يا بنيَّ، لا

يغلبنَّكُم جمال النساء عن صَراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرَجة للشَّرف[20].

قال أبو حاتم*: قالوا: وكان من أمر رياح بن ربيعة ذي ذراريح التميمي، أنه أخذ عبدًا يُقالُ له: المَحِر، وأمة يُقال لها: الصبعاء، وإبلًا لابن أخ لأكثم، فبعث إليه أكثم مالك بن نُوَيْرة، وهو ختن رياح على ابنته، فدفع إليه ما كان أخذ منه وأبطأ عليهم. فبعث إليه أكثم المكفَّف بن المُسَيَّح، فلما توجه من عنده قِيل له: قد انطلق، فليأتينَّك بالإبل والعبد والأمة. فقال أكثم: فتى ولا كمالك. قال أبو حاتم: هذا مثل للعرب معروف. فلما قَدِمَ عليه مالك قال: صَرَّح الأمر عن محضه. فدفع إليه مال ابن أخيه، فقال: أقصر لما أبصر. وهذا خبر إن كان له أثر. وفي الجريرة تشترك العشيرة. ورُبَّ قول أنفذ من صول. والحُرُّ حُرٌ وإن مسَّه الضُرُ. وإذا أُفزعَ الفؤاد ذهب الرُّقاد. هل

---

[20] هذا الذي ذكره ليس عن أبي حاتم ، فليحفظ.

يُهلكني فقد مالا يعود؟ وأعوذ باللَّه أن يرميني امرؤ بدائه. رُبَّ كلامٍ ليس فيه اكتتام. حافظ على الصَّديق ولو في الحريق، وليس من العدل سرعة العذل، وليس بيسير تقويم العسير، وإذا أردت النصيحة فتأهَّب للظِّنَّة، ولو أُنصِفَ المظلوم لم يبقَ فينا مَلُوم. متى تُعالج مال غيرك تسأم، وغثُّك خير من سمين غيرك، لا تنطح جمَّاءُ ذات قَرْن، وقد يُبلغ الخَضْمُ بالقَضْم، وقد صدع الفراق بين الرِّفاق، واستأنوا أخاكم فإن مع اليوم أخاه، وكلُّ ذات بعل ستئيمُ، وقد غلب عليك من دعا إليك، والحُرُّ عزوفٌ، (أي: صبور) لِما يُبلى، ولا تطمع في كل ما تسمع.

قالوا: وأشار أكثم يوم الكُلاب على بني تميم حين سارت إليهم مَذْحِجٌ بأجمعها، فقال: استشيروا وأقلوا الخلاف على أمرائكم، وإياكم وكثرة الصياح في الحرب، فإن كثرة الصياح من الفشل، وكونوا جميعًا، فإن الجميع غالبٌ، والمرء يعجز لا محالة، تثبَّتُوا ولا تُسارعوا، فإن أحزم الفريقين أركنهُما، ورُبَّ عجلة تَهبُ ريثًا، وتنَّمروا للحرب، وادرعوا الليل، واتخذوه جملًا، فإن الليل أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

قال: وغزا أكثم، فأسر الأقياس ونَهيكا، وأخذ أهليهم وأموالهم، فقال لبني أخيه، وهم ثلاثة: الكلب، والذئب، والسبُعُ بنو بني عامر، وعامر أخو أكثم؛ وكان أكبرهم الكلب

وكان شرهم، فدفع الأقياس ونهيكًا وأهليهم إلى الكلب، ووضع الأموال على يدي الذئب، وقال: إذا أطلقَهم فادفع إليهم أموالهم وارددها عليهم، فانطلق الكلب إلى الذئب فأخبره أنه قد أطلقهم، فأكل منها، فبلغ أكثم، فقال: نَعِمَ كلب في بؤسِ أهله، ومن استرعى الذئب ظلم، لا ترجعنَّ عن خيرٍ هممت به، إنك لن تخبأ للدهر خبيئًا إلا سألَكَهُ ... قال، وقال أبو زيد: ما تخبأ للدهر يَسلَكَهُ، وربما أعلم فأدعُ. تشجُّ بيد وتأسو بأخرى، وَدَّك من أعتبك، وحسبك من شرٍّ سماعه. لا تكلف الهول فإن العاشية تهيج الآبية، ولأفقر منًّا يُهدى غمامُ أرضنا. ليس الحلم عن قِدَم، وكُن كالسَّمن لا تَخمُّ. قال الكلب: وما أنا برادِّها حتى يمدحوني، فقال قيس بن نوفل:

أنت السَّدى وابنُ النَّدى إن ردَدْتُها	وجَدُّكَ صَيفِيٌّ وخالُك أكثَمُ

فقال: كفى بهذا عارًا أن يُنسب الرجل إلى أمه، فرجع إلى فَخِذه.

قالوا*: وجمع أكثم قومه، وسار حتى انتهى إليهم، فقال: يا حامل، اذكر حلًّا. فقال أبو حاتم المثل: يا عاقد، اذكر حلًّا، حسبُك ما بلَّغك المحَلَّ. رُبَّ أكلة تمنع أكلات، ورُبما ضام قبل أن يُسام. وإنما اتخذت الغنم من حذر العاريَّة، ولو لذا عويتُ لم أعوِه. قال: فحلف عليه السبع ليردَّنها وليُطلقنَّها، ثم

لا يقيم ببلد يحجر عليه فيها. فشخصا، وأبى الذئب أن يتبعهما ... وقال أكثم: يا بني، لا حكمة إلا بعصمة، ولا تكونوا كالكلب، أحبُّ أهله إليه الظاعن. أرى الكَيْس نصف العيش. ولا تعنفوا برفقة طالبًا لرزقة. ولا دواء لمن لا حياء له. وفي كل صباح صَبوح. واذلل للحق تعزز. ولا تجرِ فيما لا تدري. وفي الاعتبار غنًى عن الاختبار. وكلما يبذل يُحمد. وإنما يُمسك من استمسك. وكاد ذو الغربة يكون في كربة. والمنيَّة تأتي على البقيَّة. واستر سوأة أخيك لما تعرف فيك. والذئب مغبوط بذي بطنِه.

قالوا*: وكتبتْ جُهينة ومزينة وأسلم وخُزاعة إلى أكثم أن أحدِثْ إلينا أمرًا نأخذ به، فكتب إليهم: لا تفرقوا في القبائل، فإن الغريب بكل مكان مظلوم، عاقدوا الثَّروة وإياكم والوشائظ ... «قال أبو حاتم: وهم: الحشو من الناس». فإن الذِلَّة مع القِلَّة. جازوا أحلافكم بالبذل والنَّجدة. إن العارية لو سُئلت: أين تذهبين؟ لقالت: أبغي أهلي ذَمًّا. من يتتبَع كل عورة يجدها. والرسول مبلِّغ غير مَلُوم. من فَسَدَتْ بطانته كان كمن غُصَّ بالماء، ولو بغيره غُصَّ أجارته غُصَّته. أشراف القوم كالمُخِّ من الدابة، فإنما تنوء الدابة بمخِّها، وأشد القوم مؤونة أشرافهم، وهم كحاقن الإهالة. من أساءَ سمعًا أساء

إجابة، والدَال على الخير كفاعله. والجزاء بالجزاء والبادي أظلم. والشَّر يبدؤه صِغاره. وأهون السَّقي التَّشريع.

قالوا*: تنافر القعقاع وخالد بن مالك بن سَلم النهشلي إلى أكثم بن صيفى، أيهما أقرب إلى المجد والسودد؟ فقال: سفيهان يُريدان الشر، ارجعا، فإن أبيتما فإني لستُ مفضِّلًا أحدًا من قومي على أحد، كلَّهم إليَّ شَرَعٌ[21] سَواء. وخلا بكلٍّ واحد يسأله الرجوع عمَّا جاء له، فلما أَبَيَا بعثَ معهما رجلًا إلى ربيعة بن حذار الأسدي، وحبس عنده إبلهما، وكانا تنافرا مئة لمئة، فقال: انطلقا مع رسولي هذا، فإنه قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضًا عالِمُها. الرفق حُسن الأناة ومؤاتاة الأولياء، واللؤم منع السَّداد وذَّم الجواد، والدِّقَّة منع اليسير، وطلب الحقير، والخُرق طلب القليل وإضاعة الكثير. صادق صديقك هونًا ما،

---

[21] قوله: شرع سواء: أي متساوون ، لا فضل لأحدكم على الآخر .. وهو مصدر بفتح الراء وسكونها يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنَّث.

عسى أن يكون عدوَّك يومًا ما، وعادِ عدوَّك هونًا ما، عسى أن يكون صديقك يومًا ما. قال: فنفَّر ربيعةُ القعقاع على خالد، وقال: ما جُعل العبد كَربِّه، فرجع خالد مغضبا، فإذا هو براعٍ لبني أسد، فسأله فأخبره الخبر، فقال الراعي: الحق بأكثم فإن أخذت الإبل وإلا فقد هلكت. فجاء إلى أكثم فادَّعاها، وسأله الإبل، فقال أكثم: حتى يأتيني رسولي. فخرج من عنده مغضبًا حتى أتى بني مُجاشع وبني نهشل، فقال: أتغلبني أُسيد على مالي؟ فخرجوا فركبوا إليهم، فخرج إليهم أكثم في قومه، فردَهم، وقال في ذلك:

أُنبئتُ أنَّ الأقرعين وخالدًا	أرادوا بأن يستنقصوا عِزَّ أكثما

ويُروى: يستهضموا. وقيل: يستبصعوا.

فعضَّ بما أبقَتْ خَوَاتِنَ أُمِّهِ	بعَمدٍ أرادوا أن أُذمَّ ويغنَما

أي: ويغنم خالد. وزعموا أنه قال أيضًا:

سأحبسُها حتَّى يَبينَ سبيلُها	ويسرحها تُحدَى إلى الحيِّ أسلَمُ
ويمنعُها قومي ويمنعها يدي	وجرداءُ من أهلِ الإفاقةِ صِلْدِمُ

قال: أصاب النعمان بن المنذِر أساري من بني تميم، فركب إليه وفودهم وفيهم أكثم بن صيفي، حتى انتهوا إلى النَّجف، فلما علوه أناخ أكثم بعيره، وقال لأصحابه: ترون خُصَيلتي؟ قالوا: رأينا ما ساءنا. قال: قلبي مُضغة من جسدي،

ولا أظنُّه إلا نَحُلَ كما نَحُلَ سائر جسدي، فلا تتَّكلوا عليَّ في حيلة ولا منطق. فقدموا الحيرة، فأقاموا نصف حول، ثم شخص النعمان إلى القَطْقَطَانة، فأقام بها نصف حول، فلما انقضتِ الوفود، ولم يبقَ منهم إلا اليسير قام أكثم، وأخذ بحلقة الباب، ونادى:

يا حملَ بنَ مالكِ بن أُهبَان	هل تُبْلِغَنَّ ما أقول النعمان
إنَّ الطَّعام كان عيش الإنسان	أهلَكْتَنِي بالحبس بعد الحرمان
من بين عارٍ جائعٍ وعطشان	وذاك من شرِّ حِبَاءِ الضِّيفان

فسمع النعمان صوته فقال: أبو حَيْدَة وربُّ الكعبة، ما زلنا نحبس أصحابه حتى تفحَّشناه. ثم أذن لهم، فلما دخلوا قال: مَرْحبًا بكم، سَلُوني ما شئتم إلا أُسارى عندي. فطلب إليه القوم حوائجهم، وأبى أكثم أن يسأله، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: قد علم قومي أني من أكثرهم مالًا، وجئنا لأمرٍ قد نُهينا عنه. فقال النعمان: ما أراهم إلا سيغنمون، وتخيبُ. قال ذلك لهم ثلاثًا، يقول النعمان مثل مقالته، ويقول أكثم مثل مقالته، ثم أذِنَ لهم في الرابعة في القول، فتكلم أكثم، فقال: «أَبَيْتَ اللَّعْنَ، قد علم قومي أني من أكثرهم مالًا، ولم أسَلْ أحدًا شيئًا، إن المسألةَ مِنْ أضعف المكسَبَة، وقد تجوع الحُرَّةُ ولا تأكل بثدييها، إن من سلك الجدد أمن العثار، ولم

يَجُر سالك القَصْد، ولم يَعْمَ على القاصد مذهبه. من شدَد نفَّر، ومن ترَاخَى تألَّفَ، والسَّروُ التَّغافل، وأحسن القول أوجزه، وخير الفقه ما حاضرت به ... فقال النعمان: صدقت، سل حاجتك. فقال: ناقتُكَ برحلها، وخِلْعَتُكَ، وكلُّ مكْروبٍ بالقطقطانة والحيرة عَرَفَنِي. قال: ذلك لك. فركب ناقته في كِسوته، ثم نادى: يا أهل السجن، إن النعمان قد جعل لي من عرفني. قالوا: كُلُّنا نعرفك، أنت أكثم بن صيفي. ثم فعل مثل ذلك بالحيرة، فأخرجهم، ثم قال:

ثَوَيْنَا بِالْقَطَاقِطِ مَا ثَوَيْنَا	وَبالْعَبْرَيْنِ حولًا ما نَرِيمُ[22]
وأُخبِرَ أهلُنا أن قد هلكنا	وقد أعيَى الكواهن والبُسُومُ[23]
وآسانا على ما كان أوسٌ	وبعض القوم مَلحِيٌّ ذَميمُ

[22] ويُروى: بالغربين والغبرين اسم مكان بالحيرة.

[23] قوله البسوم: الظاهر أنها مرادفة للكواهن ، ولم أقف عليها.

فقلتُ لهم أيا قومي أبائتْ	فكونوا النَّاهضينَ بها وقومُوا
بوفدٍ من سَرَاةِ بني تميم	إلى أمثالهم لجأ اليتيمُ
فإنَّكم لإن تكفُوه أهلٌ	عليكم حقَّ قومِكُم عظيمُ
وإنَّكُمُ بِعقوةِ ذي بلاءٍ	وحقُّ الملكِ مكشوفٌ عظيمُ

قال*: وكتب ملك هجَرَ أو نجران إلى أكثم أن يكتب إليه بأشياء يَنتفِع بها، وأن يوجِز، فكتب إليه:

إن أحمق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء تركُ الفضول، وقلة السَّقط لزوم الصواب، وخير الأمور مغبَّة ألاتني في استصلاح المال، وإياك والتبذير فإن التبذير مفتاح البؤس، ومن التواني والعجز نتجَتْ الهلكة، وأحوج الناس إلى الغِنَى مَن لا يُصلحه إلا الغنى وأولئك الملوك، وحبُّ المديح رأسُ الضياع، وفي المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي، ورضا الناس غاية لا تُدرَك، فتحَرَّ الخيرَ بجهدك، ولا تحفِل سُخط من رضاه الجُور، ومُعاجلة العقاب سَفَهٌ، وتعوَّد الصَّبر، لكل شيء ضراوة، فضرِّ لسانك بالخير، وتوكَّل بالمهمِّ، ووكِّل بالصغير، وأخِّر الغضب فإن القُدرة من ورائك، وأقل الناس في البخل عُذرًا أقلُّهم تخوُّفًا للفقر، وأقبح أعمال المقتدرين الانتقام، جازِ بالحسنة، ولا تُكافئ بالسَّيِّئة، فإن أغنى الناس عن الحقد من عَظُمَ خطره عن المُجازاة، وإن الكريم غير المدافَع إذا

صال بمنزلة اللئيم البطر. من حسد مَن دونه قلَّ عذره، ومن حسد مَن فوقه فقد أتعب نفسه. من جعل لحُسن الظَّنِّ نصيبًا روَّحَ عن قلبه، وأصدر به أمره».

وكتب* الحارث بن أبي شمر الغسَّاني ملك عرب الشأم إلى أكثم بن صيفي بن رباح[24] أن هرقل نزل بنا، فقامت خطباءُ غسَّان فتلقَّته بأمر حسن، فوافقه، فأُعجب به، فعَجَبَ من رأيهم وأحلامهم، وأعجبني ما رأيتُ منهم، ففخرتُ بهم عليه، فقال: هذا أدبي، فإن جهلت ذاك هل بجزيرة العرب مثل هؤلاء ... فاعهد إلينا أمرًا قبل شخوصه نعرف به أن في العرب مثل هؤلاء حكمةً وعقولًا وألسنة ... فكتب إليه أكثم: إن المروءة أن تكون عالمًا كجاهل، وناطقًا كَعِيِي، والعلم مرشدة، وترك ادِعائه ينفي الحسد، والصَّمتُ يُكسبُ المحبَّة،

---

[24] تقدَّم لنا في سياق نسبه عن الإصابة ... رياح بالياء التحتيَّة ، ووُجدَتْ هنا بهامش الأصل ، وقيل: رياح ، فيكون ما نقلناه عن الإصابة صحيحًا فليحرر.

وفضل القول على الفعل لؤمٌ، وفضل الفعل على القول مَكرمة، ولم يُلزَّ الكذبُ بشيءٍ إلا غلب عليه، وشرُّ الخصال الكَذب، والصَّديق من الصِّدق سُمِّيَ، والقلبُ يُتَّهم وإن صدق اللسان، والانقباض من الناس مَكسبةٌ للعداوة، والتقرُّب من الناس مَجلبة لجليس السُّوءِ، فكُن من الناس بين المُنقَبِض والمُسترسِل، وخير الأمور أوساطها، وأفضل القُرنَاء المرأة الصالحة، وعند الخوف حُسن العمل، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من علمه زاجر.[25] ومن أهمل نفسه أمكن عدوَّه (أو قال: تمكَّنَ منه عدوه) على أسوأ عمله، وفسولةُ[26] الوزراء أضرُّ من بعض الأعداء، وأوَّل الغيظ الوهن.

قالوا*: وكتب النعمان بن المنذر إلى أكثم، وذكر ملك من ملوك فارس رجال العرب وعداوة بعضهم لبعض، وحالهم

---

[25] وفي غير الأصل ... ويروى: ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يحفل بمُرشد.

[26] الفَسَلُ: الرذل الذي لا مروءه له.

في بلادهم، فقال الفارسي: هذا لخفَةِ أحلامهم وقلَة عقولهم. فكتب إلى أكثم أن أعهد إلينا أمرًا نُعجِب به فارس ونُرَغِّبُهُم به في العرب ... فكتب أكثم: لن يهلك امرؤٌ حتى يضيِّع الرأي عند فعله، ويستبد على قومه بأموره، ويعجب بما ظهر من مروءته، ويغتر بقوَّته، والأمر يأتيه من قومه، وليس للمختال في حُسن الثناء نصيب، ولا للوالي المعجب في بقاء سلطانه بقاء، لا تمامَ لشيءٍ مع العُجْب، والجهل قوة الخُرْق، والخُرْق قُوة الغضب، وإلى اللَّه تَصير المصاير، ومن أتى مكروهًا إلى أحد فبنفسه بدأ، إن الهلكة إضاعة الرأي، والاستبداد على العشيرة يجُرُّ الجريرة، والعجب بالمروءة دليل على الفُسُولة، ومن اغترَّ بقوَّتِه فإن الأمر يأتيه من فوقه، لقاء الأحبة مَسلاةٌ للهَم، من أسَرَّ ما لا ينبغي إعلانه ولم يُعلن للأعداءِ سريرته سَلِمَ الناس عليه، والعِيُّ أن تكَلَّمَ بفوقِ ما تُسَدُ به حاجتك، ويَنبغي لمن عقل ألَّا يثق إلَّا بإخاء من لم تضطره إليه حاجة، وأقلُّ الناس راحة الحقود، ومن أتى على يديه غير عامد فأعفِهِ عن الملامة (أو: اللائمة)، ولا تُعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنبًا، ومن تعمَّدَ الذَّنب لم تحُل الرحمة دون عقوبته، والأدب رفق، والرفق يُمن، والخرق شُؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، ومن اغترَّ

بقوَّته وهِنَ، ولا مروءة لغاشٍ، ومن سفه حلمه هان أمره، والأحداث تأتي بغتة، وليس في قدرة القادر حِيلة، ولا صواب مع العُجْب، ولا بقاء مع بَغْيٍ، ولا تثقَنَّ بمن لم تختبره.

(11) أخبرنا أبو روق قال: حدثنا أبو حاتم قال: وذكر ابن الكلبي، عن عيسى بن لقمان، عن محمد بن حاطب الجمحي، قال: عاش ضُبَيْرَة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص مئتي سنة وعشرين سنة، ولم يَشِبْ شيبة قط، وأدرك الإسلام فلم يُسلم. وقد اختُلف في إسلامه، فقالت نائحته بعد موته:

مَنْ يأمن الحدثانِ بعـ	ـد ضُبَيْرَةَ السهمي ماتا
سبقتْ مَنِيَّتُهُ المشيـ	ـب وكان مِيْتَتُهُ افتلاتًا
فتزوَّدوا لا تهلِكوا	من دُونِ أهلِكُمُ خُفَاتًا

(12) قال*: وعاش دُوَيْد بن نَهْد[27] أربعمئة سنة وستًّا وخمسين سنة، فلما حضره الموت قال:

أَلقَى عليَّ الدهرُ رِجْلًا ويَدًا	والدَّهرُ ما أصلح يومًا أفسدَا
يُفسدُ ما أصلحه اليومَ غدًا	

وقال أيضا:

يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حَوَيْتُهُ	ورُبَّ غَيْلٍ[28] حَسَنٍ لَوَيتُهُ
اليوم يُبنَى لدُوَيْدٍ بَيتُهُ	لو كان للدَّهر بلًى بَلَيتُهُ
أو كان قِرني واحدًا كفيتُهُ	

ثم مات مكانه. قالوا*: وجمع بنيه عند الموت، فقال: أُوصيكم بالناس شرًّا، لا تقبلوا لهم معذرة، ولا تُقيلُوهم

---

[27] وقيل: ذُوَيْد بالذال المنقوطة ... وقيل: دُرَيد بن زيد الحُمَيري ، وهو غلط ... وقيل: دُرَيد بن زيد بن نهد.

[28] الغَيل بالفتح: الساعد الريَّان الممتلي.

عثرة. أوصيكم بالناس شرًّا، طعنًا وضربًا، قَصِّروا الأعنَّة، واشرعوا الأسِنَّة، وارعَوْا الكلأ وإن كان على الصَّفا، وما احتجتم إليه فصونوه، وما استغنيتم عنه فأفسِدُوه على من سواكم، فإن غِشَ الناس يدعو إلى سوءِ الظن، وسوء الظن يدعو إلى الاحتراس ... وأَوْصَى نهد بن زيد بنيه فقال: يا بنيَّ، أوصيكم بالناس شرًّا، كلِّموهم نزرًا، واطعنوهم شزرًا، ولا تقبلوا لهم عُذرًا، ولا تقيلوهم عثرة، وقصِّرُوا الأعِنَّة، واشحذوا الأسِنَّة، تأكلوا بذلك القريب، ويرهبكم البعيد، وإياكم والوهن فيطمع فيكم الناس.

(13) قال أبو حاتم*: وذكر ابن الجصَّاص أن مُحْصِّن بن عِتبان بن ظالم الزُّبيدي عاش مئتي سنة وستًّا وخمسين سنة، قال: وهو من سعد العشيرة، وقال:

ألا يا أسمَ إنيَّ لستُ منكم	ولكنَّي امرؤٌ قومي شعوبُ
دعاني الدَّاعيانِ فقلت إيهًا	فقالا كلُّ مَن ندعو يُجيبُ
ألا يا أسمَ أعياني الرُّكوبُ	وأعيَتْني المكاسبُ والذُّهوبُ
وصرتُ رزيَّةً في البيت كلًّا	تأذَّى بي الأباعدُ والقريبُ
كذاكَ الدَّهرُ والأيَّامُ غُولُ	لها في كلِّ سائمةٍ نَصيبُ

(14) وعاش دُريد بن الصَّمة الجشمي، من جُشم بن سعد بن بكر، نحوًا من مئتي سنة، حتى سقط حاجباه على

عينيه، وأدرك الإسلام ولم يُسلم، وقُتل يوم حُنين كافرًا، وإنما خرجت به هوازن تتيمَّنُ به. وقال دُريد:

فإن يكُ رأسي كالثَّغامَة نسلُهُ	يَطيفُ بيَ الولدان أحدبَ كالقردِ
رهينةَ قعرِ البيتِ كلَّ عشيَّةٍ	كأني أُرَقَّى أو أُصوَّبُ في المهدِ
فمِنْ بَعدِ فضلٍ من شبابٍ وقوَّةٍ	وشعرٍ أثيثٍ حالكِ اللون مُسْوَدِّ

وإنه لما كبر أراد أهله أن يحبسوه، فقالوا: إنَّا حابسوك ومانِعوك من كلام الناس، فقد خشينا أن تخلِّط فيروى ذلك الناس علينا، ويرون منك علينا عارًا. قال: أَوَ قدْ خَشيتم ذلك مني؟ قالوا: نعم. قال: فانحروا جزورًا، وأصنعوا طعامًا، وجمعوا إليَّ قومي حتى أُحدِثُ إليهم عهدًا. فنحروا جزورًا، وعملوا طعامًا، فلبس ثيابًا حِسَانًا، وجلس لقومه، حتى إذا فرغوا من طعامهم قال: اسمعوا مني، فإني أرى أمري بعد اليوم صائرًا لغيري، وقد زعم أهلي أنهم قد خافوا عليَّ الوهم، وأنا اليوم خبيرٌ بصير. إن النصيحة لا تهجم على فضيحة، أمَّا أول ما أنهاكم عنه: فأنهاكم عن مُحاربة الملوك، فإنهم كالسَّيل بالليل، لا تدري كيف تأتيه، ولا من أين يأتيك، وإذا دنا منكم الملك واديًا فاقطعوا بينكم وبينه واديَيْن، وإن أجدبتم فلا ترعوا حِمَى الملوك وإن أذنوا لكم، فإن من رعاه غانمًا لم يرجع سالمًا. ولا تُحَقِّرَنَّ شرًّا فإن قليله كثير،

واستكثروا من الخير فإن زهيده كبير. اجعلوا السلام مَحيَاةً بينكم وبين الناس، ومن خرق ستركم فارقعوه، ومن حاربكم فلا تغفلوه، ورُوا منه ما يرى منكم، واجعلوا عليه حدَّكم كلَّه. ومن تكلَّم[29] فاتركوه، ومن أسدى إليكم خيرًا فأضعِفوه له، وإلا فلا تعجزوا أن تكونوا مثله. وعلى كل إنسان منكم بالأقرب إليه، يكفي كلُّ إنسان ما يليه، وإذا التقيتم على حسبٍ فلا تَوَاكَلُوا فيه، وما أظهرتم من خيرٍ فاجعلوه كثيرًا، ولا يُرَ رِفدكم صغيرًا، ولا تنافسوا السُّودد، وليكن لكم سيِّد، فإنه لا بد لكل قومٍ من شريف. ومن كانت له مروءة فليُظهِرها ثم قومه أعلم، وحسبه بالمروءة صاحبًا، ووسِّعوا الخير وإن قلَّ، وادفِنُوا الشَّرَّ يَمُتْ، ولا تنكحوا دنيًّا من غيركم فإنه عارٌ عليكم، ولا يحتشمنَّ شريف أن يرفع وضيعَه بأياماهُ. وإياكم والفاحشة في النساء، فإنها عار أبدٍ وعقوبة غدٍ،

---

[29] هكذا بالأصل ، ولم أقف عليه في غير الأصل ، فليحرر.

وعليكم بصلة الرحم فإنها تُعظِّم الفضل وتُزيِّن النسل، وأسلموا ذا الجريرة بجريرته، ومن أبى الحق فاعلقُوه إيَّاه، وإذا عييتم بأمر فتعاونوا عليه تبلُغوا، ولا تُحضروا ناديكم السَّفيه، ولا تلجُّوا بالباطل فيلجَّ بكم.

(15) قالوا*: وعاشَ ابن حُمَمَة الدَّوسِي، واسمه كعب، أو عمرو ... أربعمئة سنة غير عشر سنين، فقال:

كبرتُ وطال العمر حتَّى كأنَّني	سليمُ أفاعٍ ليلُه غيرُ مُودعِ
فما الموت أفناني ولكن تتابَعَتْ	عليَّ سنونَ من مصيفٍ ومَربَعِ
ثلاثُ مئينَ قد مررنَ كواملًا	وها أنذا أُرتجي مرَّ أربعِ
وأصبحتُ مثلَ النَّسرِ طارت فراخُهُ	وإذا رامَ تَطيارًا يَقُلْنَ لهُ قَعِ
أُخبِّرُ أخبارَ القرونِ الَّتي مَضَتْ	ولا بُدَّ يومًا أن يُطَارَ بِمَصْرَعِي

(16) وقالوا*: وعاش كَهْمَسُ بن شعيب الدوسي ... أربعين ومئة سنة، فقتله تأبَّط شرًّا الفهمي. وكَهْمَس الذي يقول:

ألا ربَّ نهبٍ يخطُرُ الموتُ دونهُ	حَوَيْتُ وقِرْنٍ قد تركتُ مُجدَّلًا
وخيلٍ كأسراب القَطَا قد وَزَعْتُها	بِخَيْلٍ تُساقِيها ثِمَالًا مُثَمَّلًا
ولَذَّاتِ عيشٍ قد لقيتُ وشِدَّةٍ	صبرتُ لها جاشي ولم أكُ أعزلًا

ومُستلحِمٍ فيه الأسِنَّةُ شُرَّعٌ	دعاني حِذَارًا أن يُصابَ ويُقتلَا
سعيتُ إليه سعيَ لا واهنِ القُوَى	ولا عاجزٍ لا يستطيعُ التَّحَلحُلَا
فنفَّستُ عنه الخيلَ وأُتْتْتُ نفسَهُ	وقد عاينَ الأبطال أُخوَلَ أُخوَلَّا[30]
وقد عشتُ حتى مَلِلْتُ معيشتي	وأيقنتُ حقًّا أن سألقى المُوَكَّلَا
وألَّا نجاةَ لامرئٍ من مَنِيَّةٍ	ولو حلَّ في أعلى شماريخِ يَذْبُلَا

(17) قالوا*: وعاش مَصاد[31] بن جناب بن مُرارة من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة ... أربعين ومئة سنة، وقال:

ما رغبتي في آخر العيش بعد ما	أكون رقيبَ البيت لا أتغيَّبُ
إذا ما أردتُ أن أقومَ لحاجةٍ	يقولُ رقيب حافظٌ أين تذهبُ

[30] قوله: أخول أخولاء: أي: ذهبوا متفرّقين ، والألف في أخولا الثانية للإطلاق.
[31] وقيل: مصاد بن سعد.

فيرجِعُهُ المُرْمى به عن سبيلِهِ	كما رَدَّ فَرْخَ الطائِرِ المُتَرَبِّبُ

وقال أيضًا:

إنَّ مَصَادَ بن جَنَابٍ قد ذهب	أدركَ من طولِ الحياة ما طلب
والموتُ قد يُدرِكُ يومًا مَنْ هَرَبْ	

وقال أيضا:

للموتِ ما تُعْذَى وللموتِ قَصْرُنَا	ولا بدَّ من موتٍ وإن تُفِّسَ العمرُ
فمَن كان مغرورًا بطولِ حياته	فإنِّي حميلٌ أن سيصرعه الدَّهرُ
فليس بباقٍ إن سألتَ ابن مالكٍ	على الدهرِ إلَّا من لهُ الدَّهرُ والأمرُ

(18) قالوا*: وعاش مُسافع بن عبد العُزَّى الضَّمري ... ستين ومئة سنة، وقال:

جلَستُ غُدَيَّةً وأبو عقيل	وعُروةُ ذو النَّدى وأبو رياحِ
كأنَّا مضرحيَّاتٌ برضوى	يَئُونَ إذا ينؤنَ بلا جناحِ

يرانا أهلُنا لا نحنُ مَرضَى	فنُكوَى أو نُلدُّ ولا صِحاحِ[32]
ولا نُروِي الفِصَال إذا اجتمعنا	على ذِي دَلوِنا والحفرُ طاحِ

يقول: ضعفنا فلا نقدر على الاستقامة. طاح مملوء ...

وقال مسافع حين ضجرَ به أهله:

لعَمْرُكُما لو يسمعُ الموت قد أتى	لداعٍ على بُرءٍ جفتهُ العَوائدُ
به سَقَمٌ من كل سُقمٍ وخَبطةٌ	من الدَّهر أصغى غصنهُ فهو ساجدُ[33]
إذا مرَّ نعش قيل نعش مسافعٍ	ألا لا بودي لو بني لي لاحدُ
يظنون أني بعد أوَّلَ ميَّت	فأبقى ويمضي واحدٌ ثمَّ واحدُ
فقالوا له لمَّا رأوا طولَ عمره	تأتَّ لدار الخُلدِ إنَّك خالدُ
غِضَابٌ عليَّ أن بقيتُ وأنَّني	بِودِّي الذي يَهوُونَ لو أنا واجِدُ

[32] قوله نلد: أصله من اللدود ، كصبور: ما يُصَبُّ بالمسعط منه الدواء في أحد شِقَّي الفم.

[33] قوله أصغى غصنه: الغصن: الظهر ، وأصغى: أحنى.

أضمرَ الهاء، يقول: لو أنا واجدهُ.

(19) قالوا*: ومن المعدودين في المعمرين من قُضاعة: زُهير بن جناب بن هُبل بن عبد اللَّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللَّه[34] بن رُفَيدة بن كلب بن وَبَرَة ... عاش أربعمئة سنة وعشرين سنة، وأوقع مئتي وقعة، وكان سيدًا مُطاعًا شريفًا في قومه؛ ويُقال: كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيد قومه، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم (والطبُّ في ذلك الزمان شرف)، وحازي قومه (والحُزاة: الكُهَّان)، وكان فارس قومه، وله البيت فيهم، والعدد منهم[35]. فبلغنا أنه عاش حتى هَرِمَ وغرض من الحياة وذهب عقله،

---

[34] في غير الأصل: زهير بن حباب ... وبدل زيد الله: زيد اللاة بن ثور بن رُفيدة ... وكذا سيذكره في آخر الترجمة وأنه عاش مئتي سنة.

[35] عَدَّ تسعة خِصال ... ولم يأت بالعاشرة ، فليُحرر.

فلم يكن يخرج إلا ومعه بعض ولده، أو ولد ولده. وإنه خرج ذات عشيَّة إلى مال له ينظر إليه، فاتَّبعه بعض ولده فقال له: ارجع إلى البيت قبل الليل، فإني أخاف أن يأكلك الذئب. فقال: قد كنت وما أُخَشَّى بالذئب. فذهبت مثلًا، ويُقال إن هذا خُفاف بن عُمَيْر السُّلَمي، وهو ابن ندبة السُّلمي.

قال أبو حاتم*: وذكر ابن الكلبي أن هذا مما حفظ عمن تثق به من الرواة. وقد ذكر لقيط أيضًا نحوًا من الحديث ... وذكر أن زُهيرًا عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة.

حدَّثنا أبو حاتم قال: وقال العُمَري: أخبرني محمد بن زَبَّاد الكلبي عن أشياخه من كَلْبٍ قالوا: كان زُهير بن جَناب قد كبر حتى خَرِف، وكان يتحدث بالعشي بين القُلُب — يعني الآبار — وكان إذا انصرف عنه الليل شقَّ عليه، فقالت امرأته لَميسُ الأَراشِيَة لابنها خِدَاش بن زُهير: اذهب إلى أبيك حين ينصرف فخُذ بيده فقُده. فخرج حتى انتهى إلى زهير، فقال: ما جاء بك يا بُنَيَّ؟ قال: كذا وكذا. قال: اذهب. فأبى؛ وانصرف تلك الليلة معه. ثم كان من الغد، فجاءه الغلام، فقال له: انصرف. فأبى، فسأل الغلام، فكتمه، فتوعَّده، فأخبره الغلام الخبر، فأخذه، فاحتضنه، فرجع به. ثم أتى أهله، فأقسم زهير باللَّه لا يذوق إلا الخمر حتى يموت، فمكثَ ثمانية أيام،

ثم مات. وقال لقيط وابن زبار وغيرهما، قال: ورواية ابن زبار أتمُّهنَّ:

جدَّ الرحيلُ وما وقفـ	ـتُ على لميس الأرَاشيَة
ولَقَي ثَوَائِي اليومَ ما	عَلِقَتْ حِبالُ القاطنيَّة
حتَّى أُؤدِّيها إلى الـ	ملك الهُمام بذي الثَّويَّة
قد نالني من سَيبِهِ	فرجعتُ محمود الحَذِيَّة

قال أبو حاتم*: ويُقال أولها كما أخبرنا أبو زيد الأنصاري عن المفضَّل:

أُبَنِيَّ إن أُهلك فقد	أُورثتكم مجدًا بَنيَّة
وترَكتكم أولاد سا	داتٍ زدناكُمُ وَرِيَّة
كلُّ الذي نال الفتى	قد نِلتُهُ إلَّا التحيَّة
كم من مُحَيًّا لا يوا	زيني ولا يَهَبُ الدَّعيَّة
ولقد رأيتُ النَّار للسُّـ	ـلَّافِ تُوقَدُ في طَمِيَّة
ولقد رحلتُ البازِلَ الـ	ـوجناءَ ليس لها وَلِيَّة
ولقد غدوتُ بمشرف الـ	ـطرفين لم يَعْمِزْ شَظِيَّه
فأصبتُ من حُمر القَنَا	نِ معًا ومِن حُمرِ القَفِيَّة
ونطقتُ خُطبَةَ ماجدٍ	غير الضعيفةِ والعَيِيَّة

فالموتُ خيرٌ للفتى	فلَيَهلِكَنَّ وبه بَقِيَّة
مِن أن يُرى تهديهِ وِلـ	دانُ المقامة بالعَشِيَّة

ويُروى:

مِن أن يُرَى الشَّيخ البجا	ل وقد يُهادَى بالعشيَّة

البجال: الذي يُبَجِّلهُ أصحابه ويُعَظِمونه. وقال زُهير بن جَناب حين مضت له مئتا سنة من عمره:

لقد عُمِّرتُ حتَّى ما أُبالي	أَحَتْفِي في صباحي أو مسائي
وحُقَّ لمن أتتْ مئتان عامًا	عليه أن يَمَلَّ من الثَّواءِ
شهدتُ المُحضِئينَ على خزازٍ	وبالسُّلَّانِ جمعًا ذا زُهاءِ[36]
ونادمتُ الملوكَ من آلِ عَمْرٍو	وبعدُهُمُ بَني ماءِ السَّماءِ

[36] في غير الأصل ... ويُروى:

شهدت الموقدين على خزازي	وبالسلان جمعًا ذا ثواء

قال أبو حاتم*: التي ذكر امرأة؛ وهي بنت عوف بن جُشم بن هلال النَّمَرِيَّة ... قال: فنادمت بنيها، وهي أم المنذر بن النعمان ... ويعني بآلِ عمرو: بني عمرو آكل المُرار، والمرار: نبتٌ حارٌّ، يتقلَّصُ منه مِشفر البعير إذا أكله. قال: وقال أيضًا زُهَير: وسمع بعضَ نِسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة تتكلم عند زوجها، فنهاها فقالت له: اسكت، وإلا ضربتك بهذا العمود، فواللّه ما كنت أراك تسمع شيئًا، ولا تعقله. فقال عند ذلك:

ألا يالقَومي لا أرى النَّجم طالعًا	من اللَّيل إلَّا حاجبي بيميني
مُعزِّبتي عند القفا بعمودها	يكون نكيري أن أقول ذَريني
أمينًا على سِرِّ النِّساء وربَّما	أكون على الأسرار غيرَ أمينِ
ولَلْمَوتُ خيرٌ من حِداجٍ مُوَطَّأٍ	مع الظُّعن لا يأتي المحلَّ لحينِ

المُعَزِّبَة: التي تقوم عليه وتُطعمه كما يُطعَم الصَّبيَّ ... وذكر الأصمعي: المعزِّبة: هي التي تَحُفُّهُ وتَرُفُّهُ ... وقال زُهير بن جَناب:

ليتَ شِعري والدَّهرُ ذو حَدَثانِ	أيَّ حين مَنِيَّتي تلقاني
أسُباتٌ على الفراشِ خُفَاتٌ	أم بِكَفَّي مُفجَّعٍ حرَّانِ

ويُروَى: مُفَجَّعٌ، كأنه قُتل له قتيل.

قال أبو حاتم*: وذكر ابن الكلبي أن زُهير بن جناب أوقع بالعرب مئتي وقعة. فقال الشَّرقي بن القطامي: خمسمئة وقعة. والشرقي ضعيف ... حدَّثنا أبو حاتم قال: وزعم هشام بن محمد عن أبيه محمد بن السائب قال: سمعتُ أشياخنا الكلبيين يقولون: عاش زُهير بن جناب بن هُبل بن عبد اللَّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مُرَّة بن مالك بن حمير مئتي سنة، فلم تجتمع قُضاعة إلا عليه وعلى رِزَاح بن ربيعة بن حرم بن ضَنَّة بن عبد كبير بن عذرة بن سعد، وهو هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ورزاح، وحن أخوا قُصَي بن كلاب لأمه ... وكان زهير على عهد كُلَيب بن وائل، وقد كان أسر مُهلهلًا، ولم يكن في العرب أنطق من زهير بن جناب، ولا أوجه عند الملوك، وكان لشدَّةِ رأيه يُسمَّى كاهِنًا.

قال أبو حاتم: وذكر أصحابنا عن هشام قال: وكان زهير قال، ألا إن الحيَ ظعن. فقال عبد اللَّه بن عليم بن جناب: ألا إن الحي أقام. فقال زهير: ألا إن الحي أقام. فقال عبد اللَّه: إلا إن الحي ظعن. فقال زهير: مَن هذا المخالف عليَّ منذ اليوم؟

قالوا: هذا ابن أخيك عبد اللَّه بن عُلَيْم. فقال: شر الناس للعمِّ ابن الأخ، إلا أنه لا يدعُ قاتل عمه. وأنشأ يقول:

وكيف بمن لا أستطيع فِراقَهُ	ومَنْ هو إن لا تجمَع الدارُ لاهفُ
أميرُ خلافٍ إن أُقِم لا يُقِم معي	ويرحل وإن أرحل يُقِمْ ويخالفُ

قال: ثم شرب زهير الخمر صِرفًا أيامًا حتى مات ... وشربها أبو براء عامر بن مالك بن جعفر حين خُولف صرفًا حتى مات ... وشربها عمرو بن كلثوم التغلبي صرفًا حتى مات. ولم يبلغنا أن أحدًا من العرب فعل ذلك إلا هؤلاء.

قالوا*: وعاش زُهير حتى أدركه من ولد أخيه أبو الأحوص عُمر بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب. قالوا: وكان الشرقي بن قُطامى يقول: عاش ابن جناب أربعمئة سنة ... قال: وقال المسيَّب بن الرِّفل الزهيري من ولد زُهير بن جناب:

وأبرهةَ الذي كان اصطفانا	وسَوَّسَنَا وتاجُ الملكِ عالي
وقاسَمَ نصفَ إمرَتهِ زُهيرًا	ولم يَكُ دونه في الأمر والي
وأمَّرهُ على حيَّى مَعدٍ	وأمَّره على الحَيِّ المعالي
على ابني وائل لهما مُهِينًا	يَرُدُّهما على رغم السَّبال

بحبسهما بدارِ الذُّلِّ حتَّى	أَلمَّا يَهلِكانِ من الهُزالِ

(20) قالوا*: وعاش هُبَلُ بن عبد اللَّه بن كنانة الكلبي ... وهو جدُّ زهير بن جناب بن هُبل بن عبد اللَّه سبعمئة سنة حتى خَرِفَ وغرض منه أهله، فقالوا: إن بني بنيه وبني بناته وبني أخيه كانوا يضحكون منه ومن اختلاط كلامه، وأن نفرًا من قومه يُقال لهم بنو عبد ود بن كنانة جلسوا يوما عنده، فأكثروا التعجب منه، ولم يكونوا في الشرف مثله، منهم: جُبَيْل بن عامر بن عوف بن كنانة، وحجل بن عمرو بن عوف بن كنانة، وهما من كلب، لم يكونا مثله، ولا مثل ولده في الشرف، فقال هبل بن عبد اللَّه:

رُبَّ يومٍ قد يُرَى فيه هُبَل	ذا سَوَامٍ ونَوَالٍ وجَذَل
لا يُناجيهِ ولا يَخلو بِهِل	عَبْدُ وُدٍ وجُبَيْلٌ وحَجَل

بِهَل: يريد: به، واللام زائدة ... وقال حاطب بن مالك الجُلَّس النهشلي يذكر طول عمر هُبَل:

كأنَّك ترجو أن تعيشَ ابن مالكٍ	كعيشِ هُبَل لقد سَفِهْتَ على عَمدِ
وماذا تُرَجِّي من حياةٍ ذليلةٍ	تُعَمِّرُها بين الغطارفة المُرَدِ
وأنتَ لَقًى في البيت كالرَّأل مُدنِفٌ	وقد كنتُ سبَّاقًا إلى غايةِ المجدِ
ولَلموت خيرٌ لامرئٍ مِن حياته	يَدِبُّ دبيبًا في المحلَّةِ كالقردِ

فلو أنَّ شيئًا نالَ خُلدًا لنالَهُ	حليف النَّدى عمرو سليل أبى الجعدِ
فتًى كان سبَّاقًا إلى كلِّ غايةٍ	يُبادِرُ فِتيان العشيرةِ لِلحمدِ

(21) قالوا*: وكان عمرو سليل أبي الجعد خال حاطب، وهو عمرو بن الحمَيس بن الجعد بن رقبة بن لَوذَان، أحد ثور أطحل، وكان سيدًا شجاعًا، جوَّادًا، قتله أنس بن مُدرك الخَثْعمي.

قالوا*: قال عمارة بن عوف العدواني: ثم أحد بني وابش، وعَمِّر خمسين ومئتي سنة، وكان كاهِنًا أدرك عمر بن الخطاب أول ما ولي، وهو شيخ قد ذهب بصره وخرف، وأولع بالهذيان، يقول، إقروا ضيفكم. وهو الذي يقول:

تقول لي عَمرَةُ ماذا الذي	تهذي به في السِّرِّ والجهرِ
قلت لها والجودُ من شيمتي	آمُرُكُم في العسر واليسرِ
بضيفكم إنَّ له حُرمةً	فاقروا ضيوفي قَحَدَ الجُزرِ
وارعوا لجار البيت ما قد رَعى	قبلكم ذاك بنو عَمرِو
قوموا لضيفٍ جاءَكم طارِقًا	وجارِكُم بالنَّيِّ والخمرِ

قال أبو حاتم: من قال «النَّيَ» مفتوحة النون: أراد الشَّحمَ، ومن قال النَّي بالكسر: أراد اللحم الطري.

وذَبِّبُوا مَن رام جيرانكم	بالسَّوءِ بالبُتر وبالسُّمرِ
واخشَوْشِنُوا في الحرب إن أُوقدت	بكل خَطِيٍّ وذي أثرِ

«ذو أثر»: يريد السيف، يُراد به: المأثورة، والأثر هو الفِرِنَد الذي فيه.

ولا تَهِرُّوا الموت إن أقبلت	خيلٌ تَعَادي سننَ الدَّبرِ
فرُبَّ يومٍ قد شهدت الوغى	بسابحٍ ينقَضُّ كالصَّقرِ
أقدُمُ قومًا سادةً ذادةً	بِيضًا يُحامون عن الفخرِ

ويُروى: يحامون عن النَّجر، وهو الأصل.

لَمَّا احتوَوه جالدوا دونه	وطار أقوامٌ من الذُّعرِ
فذاكَ دهرٌ ومَحارُ الفتى	في غيرِ شكٍّ مُظلِمُ القعرِ
أو طعنة تأتي على نفسه	فهَّاقة تأبى على السَّبر

يريد جياشة، لا يَرد دَمُها الفُتُلُ.

عُمِّرت دهرًا ثمَّ دهرًا وقد	آمُلُ أن آتي على دَهرِ
فإن أمُتْ فالموتُ لي خيرة	من قبل أن أهذِي ولا أدري
خمسون لي قد أكملتُ بعدما	ساعدَني قَرنان من عُمري

قرنان: مئتا سنة ... ويُروى: دهران من عمري.

(22) قالوا*: وعاش تيم اللَّه بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمى بن جُديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعد ... خمسمئة حتى أُخلق أربعة لُحْم حديد، وكان من دُهاة العرب في زمانه. فبلغنا أنه بعث بَنيه ذات يوم في طلب إبل له ضلَّتْ، فهبَّتْ ريح بعد ما خرجوا من عنده شديدة، وذلك في الشتاء، فقال لامرأته، أمَّ بنيه: انظري من أين هبَّتْ الريح؟ فنظرت، ثم قالت: من مكان كذا وكذا. فقال لها: أُخُنتيني في بَني أم لا؟ فقالت: لا واللَّه ما خنتك فيهم. فقال: ويحك، واللَّه إني لأعلم أنها ريح تُدهدي البعر، وتعفو الأثر، فلا يعرفون منطلقًا، وإنها لتسوق مطرًا فلا يعرفون أثرًا، فإن رجعوا فهم بَنيَّ وإيَّاي أشبهوا، وإن مضوا فلن ترِيهم أبدًا وقد خُنتِنِي فيهم، ووالله لأقتلنَّكِ إذن قبل أن يرجعوا. ثم لم يزل ليله أجمع ما ينام وما تنام امرأته، حتى إذا كان عند طلوع الفجر رجع أحدهم، فقال له أبوه تيم اللَّه: ما ردك؟ قال: هبت ريح تُدهدي البعر، وتعفو الأثر، وتسوق المطر، فلم أر منطلقًا. فتتابعوا على مثل مقالته كلَّهم، ورجعوا إلى أبيهم، فسُرَّ بذلك وقال: أنتم بَنِيَّ حقًا، وإياي أشبهتم. فلما حضره الموت أمر بنيه أن يحفروا قبره بمكان يُقال له حَضن، وقال في ذلك:

ها ذاك تيمُ اللَّه يبني بيتهُ	بحَضنٍ حياته وموتهُ

وكان الذي ولى كَبْرَته من بنيه: هلال، وبنو هلال بن تيم اللَّه أقل بني تيم اللَّه عددًا، وأخملهم ذِكرا. فقال في ذلك الأخنس بن عباس بن خنساء بن عبد العزى بن هلال بن تيم اللَّه بن ثعلبة:

حملنا الشَّيخ تيم اللَّه عَودًا	وكانَ وَلِيَّ كبرتهِ أُبُونا
ولم يكُ طِبُّ أعمامي عُقوقًا	ولكنا كفَينَا ما وَلينا
جزيناه بنعمته علينا	وأُطرَفناه حتى مات فينا

أطرفناه: ابتدأناه بالنعم.

(23): قالوا*: وعاش سُوَيد بن خَذاق، من عبد القيس بن أفضي بن دُعمِي بن أسد بن ربيعة بن نزار ... مئتي سنة، وقال في ذلك:

كبِرتُ وطال العمر حتَّى كأنَّما	رمى الدهرُ مِنِّي كُلَّ عضوٍ بأهزَعا
غنمتُ بعيري شيخ من سُئِلْتَ به	فتاةُ بني من كان أزمان ثُبَّعا

(24) قالوا: وقال عطاء والكلبي: عاش الجُعشُم بن عوف بن جذيمة، من عبد القيس ... مئتي سنة حتى هَرِمَ، ومَلَّ الحياة وهان على أهله. فقال في ذلك:

حتَّى متي الجُعشُم في الأحياءِ	ليس بذي أيدٍ ولا غَنَاء

هيهاتَ ما لِلمَوتِ من دواءِ

(25) قالوا*: وعاش مُجَمِّعُ بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن هلال بن تيم اللَّه بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ... مئة سنة وتسع عشرة سنة. فقال في ذلك:

إن أُمسِ شيخًا قد بليتُ فطالما	عَمِرتُ ولكن لا أرى العيش يَنفعُ
مضت مئة من مولدي فنضَيْتُها	وعشرٌ وخمسٌ بعد ذاك وأربعُ
فيا رُبَّ خيل كالقطا قد وَرَعتُها	لها سَبَلٌ فيه المنيَّةُ تلمعُ
شهدتُ وغَنْمٍ قد حويتُ ولذَّةٍ	أصبت وماذا العيش إلَّا تمَتُّعُ

(26) قالوا*: وعاش عمرو بن ثعلبة من عبد القيس ... مئتي سنة. وقال في ذلك حين كبر، وهان على أهله:

تَهَزَّأتْ عِرسي واستنكرَتْ	شَيبي ففيها جَنَفٌ وازوِرارُ
لا تُكثِرِي هُزؤًا، ولا تعجَبي	فليس بالشيبِ على المرءِ عارُ
عَمْرُكِ هل تدرين أنَّ الفتى	شبابه ثوبٌ عليه مُعَارُ

قال أبو حاتم: وزعم عطاء بن مصعب المِلْطُ أن خلفًا الأحمر وضع هذا البيت الآخِر.

(27) وعاش* أنس بن مدرك الخثعمي بن كُعيب بن عمرو بن سعد بن عوف بن حارثة بن سعد بن عامر بن تيم

اللَّه بن مبشِّر بن أكلب بن ربيعة بن عِفرس بن حلف بن أفتل، وهو خثعم بن أنمار بن بجيلة بن أراش بن عمرو بن لِحيان[37] مئة وأربعًا وخمسين سنة، وكان سيد خشعم في الجاهلية وفارسها، وأدرك الإسلام فأسلم. وقال في كبره:

إذا ما امروءٌ عاش الهُنَيدَةَ سالمًا	وخمسين عامًا بعد ذاك وأربعًا
تبدَّل مُرَّ العيش من بعدِ حُلوِه	وأوشك أن يَبْلَى وأن يتسعسعَا
ويأذَى به الأدنى يرضى به العِدى	إذا صار مثل الرَّألِ أحدبَ أخضعَا
رهينة قعرِ البيت ليس بَريمُهُ	لقًى ثاويًا لا يبرحُ المهدَ مُضجعًا
يُخبِّرُ عمَّنْ مات حتى كأنَّما	رأى الصعبَ ذا القرنين أوراءَ ثُبَّعًا

[37] قوله: أنمار بن بجيلة صوابه كما في جمهرة ابن الكلبي: أنمار بن أراش ، وبجيلة: أم ولد أنمار إلا خثعم ، فإن أمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك ... وقوله: عمرو بن لحيان: في الجمهرة: عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فليحرر.

(28) قالوا*: وعاش ذو جَدَن الحميري ... الملك ثلاثمئة سنة. وقال في ذلك:

لكُلِّ جَنْبٍ إجتنا[38] مُضطَجَع	والموتُ لا ينفعُ منه الجزع
اليوم تُجزون بأعمالكم	كلُّ امرئٍ يحصدُ مما زرع
لو كان شيءٌ مُفلِتًا حتفه	أفْلَتَ منه في الجبال الصَّدَع

وقال أيضًا:

يا إجتنا مهلًا ذَرينا	أفي سفاءٍ[39] تُعذُلينا
يا إجتنا تستعتبينا	فلا وربك تُعتِبِينا[40]
يومٌ يُغَيِّر ذا النَّعيمِ	وتارةً يشفي الحزينا

[38] قوله: إجتنا: هو اسم امرأة خاطبها منقول من الفعل الماضي من اجتنى الثمرة، وهو منادى بحرف النداء المحذوف.

[39] السفاء: الدُّنُوُّ من الأرض.

[40] قوله تعتبينا: الإعتاب مصدر أعتبه، إذا أزال عتابه وشكواه، فالهمزة للسلب.

إنَّ المنايا يَطَّلِعْـ	ـنَ على الأُناس الآمنينا
فيدعنَهُم شتَّى وقد	كانوا جميعًا وافرينا

(29) قالوا*: وعاش عبد اللَّه بن سُبيع الحُمَيري ... مئة وخمسين ستة. وقال في ذلك:

أُراني كلَّما هرَّمتُ يومًا	أُتى من بعده يومٌ جديدُ
يعودُ شبابه في كلِّ فجرٍ	ويأبى لي شبابي لا يعودُ

(30) قالوا*: وعاش مِرداس بن صُبَيح من الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد بن مَذْحِج ... مئتي سنة وثلاثين سنة. وقال في ذلك:

أُعاذِلَتي دعي عذلي فإنَّي	أتتنِي عن حَجُورٍ مُندِياتُ

وحجور: بطن من همدان، منهم معيوف بن يحي[41].

قوافي قد أتتني من بعيدٍ	فما أدري أزورٌ أم ثباتُ
فإن تكُ كذبةً[42] من قوم سوءٍ	فما إن تزدَهيني المَعذِراتُ
فإني قد كبرتُ ورقَّ عظمي	وأسلمني لدى الدَّهر الهَناتُ
مَرَازِي قد تنوبُ وطولُ عمرٍ	تؤوبُ لها الهموم الطَّارقاتُ
أُدِبُّ على العصا لم يبقَ إلَّا	لسانٌ صارمٌ عضبٌ حُتَاتُ
فلا يغرُركم كبري فإنِّي	كريمٌ ليس في أمري شتاتُ

قال أبو حاتم: وأظن البيت الأخير ليس منها.

(31) قالوا*: وعاش عمرو بن ربيعة، وهو لُحي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة الغِطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ... وعمرو بن لُحَي

---

[41] قال الأزجي في كتابه الأنساب: آل معيوف بدمشق الغوطة في قرية يُقال لها عين ثرماء ، وينتسبون يقولون: معيوف بن يحيى بن معيوف بن علقمة بن الحارث بن سعد بن عبد بن عليان بن مرهبة بن حجور.

[42] كذا ضُبط بالأصل بفتح الكاف ... وقال الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي أثناء قراءتي عليه (هذا الكتاب) بكسر الكاف.

هذا أبو خزاعة غير ولد أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ... قالوا: وقد يقال إنه لُحَيٌّ بن قَمعة بن خِندِف بن مضر ... قالوا*: وبلغنا أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: «أول من بحَّرَ البحيرة ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، وغيَّرَ دين أبيه إسماعيل عليه السلام: عمرو بن لُحَيُ بن قمعة بن خِندِف أبو خُزاعة، فكأني أنظر إليه يجرُّ قُصبَه في النار، وأشبه ولده به: أكثم بن الجون، فقال أكثم — وكان قاعدًا —: يا رسول اللَّه، بأبي وأمي، هل يضرني الشبه؟ قال: «لا يضرك، كان كافرًا وأنت مسلم». عاش ثلاثمئة سنة وأربعين سنة، فكثُرَ ماله وولده حتى بلغنا — واللَّه أعلم — أنه كان يُقاتل معه من ولده ألف مُقاتل.

(32) قال أبو حاتم: قالوا*: وعاش فيما ذكر ابن الكلبي عن أبيه ... أوس بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثُمامة بن مالك بن جدعاء بن ذُهل بن لَوذَان بن رُومان بن خارجة بن سعد بن جُندب بن فُطرة بن طيء، وهو جُلهَمَةُ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ... وهو عبد شمس بن يشجُب بن يُعرب، وهو قحطان بن عابر، وإلى قحطان تجتمع قبائل اليمن كلها. عاش مئتي سنة وعشرين سنة حتى هَرِمَ، وذهب سمعه وعقله، وكان سيد قومه وفي بيتهم؛ فبلغنا أن بنيه ارتحلوا،

وتركوه في عرصتهم حتى هلك فيها ضيعة؛ وهم يُسبُّون بذلك اليوم ... وفي ذلك يقول الأسحم بن الحارث، أحد بني طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لَوذان بن رومان من جديلة طيء:

أتاني بالمحلَّة أنَّ أوسًا	على شَظَنَان ماتَ من الهُزالِ
تحمَّلَ أهلُه واستودعوهُ	خسيًّا من نسيج الصُّوفِ بالِ
تَظَلُّ الطَّيرُ تعفوهُ وُقوعًا	ألا يا بؤسَ للشيخِ المُذالِ

الخَسِيُّ: الصوف الذي لم يُجَزُّ إلا مرة واحدة، وكان الإعراب بالياء، ولكن لغة طيء أن يقولوا: رأيت زيد، فيحذفون الألف. وشظنان: أرض ترك الشيخ بنوه بها.

(33) قالوا*: وعاش عديُّ بن حاتم الطائي بن عبد اللَّه بن حشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم ... وهو هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ... مئة وثمانين سنة، فلما أسنَّ استأذن قومه في وطاءٍ يجلس عليه في ناديهم، وقال: إني أكره أن يظن أحدكم أني أرى لي عليه فضلًا، ولكني قد كبِرتُ ورقَّ عظمي. فقالوا: ننظر. فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول:

أُجيبوا يا بَني ثعل بن عمرو	ولا تكموا الجوابَ من الحياءِ

فإنِّي قد كبرت ورقَّ عظمي	وقلَّ اللَّحم من بعد النَّقاءِ
وأصبحتُ الغداةَ أريدُ شيئًا	يقيني الأرض من برد الشتاءِ
وطاءً يا بني ثُعَلِ بن عمرو	وليس لشيخكم غيرُ الوِطَاءِ
فإن ترضَوا به فسرورُ راضٍ	وإن تأبَوا فإنيِّ ذو إباءِ
سأترُكُ ما أردتُ لِمَا أُردتُم	ورَدُّكَ مَن عصاكَ من العناءِ
لأنِّي من مَسَاءَتِكُم بعيدٌ	كبُعدِ الأرض من جوِّ السَّماءِ
وإني لا أكون بغير قومي	فليس الدَّلوُ إلَّا بالرِّشاءِ

فأذنوا له أن يبسط في ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا: أنت شيخنا وابن سيدنا، وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه[43].

---

[43] في غير الأصل في ترجمة عدي هذا قال: لمَّا غلب المختار بن عبيد على الكوفة، همَّ عدي بالخروج عليه، ثم عجز لكبر سنه، وقد بلغ مئة وعشرين سنة. وقال:

أصبحتُ لا أنفع الصديق ولا	أملك ضرًّا للشانئ الشرس
وإن جرى بي الجواد مُنطلقًا	لا يملك الكف رجعة الفرس

(34) قالوا*: عاش عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقَيلَة الغساني ... ثلاثمئة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يُسلم، وكان منزله الحيرة، وكان شريفًا في الجاهلية، وقال:

لقد بنيتُ للحدَثانِ بيتًا[44]	لو أنَّ المرءَ تنفعه الحصونُ
رفيعَ الرأس أحوى مُشمَخِرًّا	لِأنواعِ الرِّياح به حَنين

وقال يذكر من كان معه من ملوك قومه الذين مضوا:

أبعدَ المُنذِرَيْنِ أرى سَوَامًا	تُرَوَّحُ بالخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
تحاماهُ فوارِسُ كُل حيٍّ	مَخافةَ أغضفٍ عالي الزَّئيرِ
وبعدَ فوارسِ النعمان أرعَى	رياضًا بين مُرَّةَ والحَفِيرِ

[44] في غير الأصل يُروى: بيت لطارق الحدثان حصنًا ... البيت.

وصِرنا بعدَ هُلْكِ أبى قُبَيْسٍ	كجُرْبِ الشَّاءِ في يومٍ مَطِيرِ
تَقَسَّمنا القبائلُ مِن مَعَدٍ	عَلَانيةً كأيسارِ الجَزورِ
وكُنَّا لا يُرامُ لنا حريمٌ	فنحن كَضَرَّةِ الضَّرعِ الفَخورِ
نؤَدِّي الخرجَ بعد خراج بُصرَي	وخرجَ بني قُرَيظَةَ والنَّضيرِ
كذاكَ الدَّهرُ دولتُهُ سِجَالٌ	فيومٌ من مَسَاةٍ أو سُرُورِ

قالوا*: وخرج بقيلة في ثوبين أخضرين، فقال له إنسان: ما أنت إلا بُقَيلة؛ فسُمي بقيلة لذلك، واسمه ثعلبة بن سُئَين[45].

[45] وفي غير الأصل: قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة: أخرجوا إليَّ رجلًا من عُقلائِكُم. فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حبَّان بن نُفيلة الغساني ، وهو الذي بنى القصر ، وهو يومئذٍ ابن خمسين وثلاثمئة سنة ... قلت: وهذا الخبر فيه بعض تغيير لحكاية نسبه ، وقد أوردَتهُ لذلك ، فليحرر.

(35) قالوا*: وعاش عدي بن وداع بن العِقْيِ، الحارث بن مالك بن فهم بن غَنم بن دَوْسِ بن عبد اللَّه، من الأزد ... ثلاثمئة سنة، فأدرك الإسلام، وأسلم وغزا. وقال في ذلك:

لا عيشَ إلَّا الجنَّة المُخْضَرَّة	من يَدخُل النَّار يُلاقِ ضَرَّه

وقال:

اعلم أَنَّ كُلَّ فتى مَرَّةً	للتُّربِ أَو بيتٍ من الجَنْدَلِ
ذلك مكروهٌ وأُدعى فإن	أُحمَل على الثِّقلةِ لا أُثْقُلِ

(36) قالوا*: وعاشَ شُرَيح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دُرَيد بن سفيان بن سلمة ... وهو الضَّبَّاب بن الحارث بن كعب بن مَذْحِج ... عشرين ومئة سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن أبي مِخنف، قال: أخبرنا أشياخنا من بني الحارث قالوا: ثم قتل في ولاية الحجاج بن يوسف مع ابن أبي بكرة، فقال: وهو يرتجز قبل أن يُقتل:

قد عشتُ بين المشركين أَعصُرًا	ثُمَّتَ أَدركتُ النَّبيَّ المُنذِرَا
وبعدَهُ صِدِّيقَهُ وَعُمَرًا	ويومَ مِهْرَانَ ويومَ تُستَرَا
والجمعَ في صِفَّينِهم والنَّهرَا	هيهاتَ ما أَطولَ هذا عُمُرًا

(37) قالوا*: وعاش شرية بن عبد الجعفيُ من جعفي بن سعد العشيرة بن مالك بن أدَد بن مذحج ... ثلاثمئة سنة،

وأدرك الإسلام. *حدثنا أبو حاتم قال: وذكر ابن الكلبي قال: سمعت أبا بكر بن قَيس الجُعفِي يذكر عن أشياخه، وقد ذكره غيره* قالوا: وهو شَرِيَة بن عبد اللَّه الجُعفي، وقال في زمن عُمر بن الخطاب وهو بالمدينة: لقد رأيت هذا الوادي الذي أنتم به وما به قطرة ولا قصبة ولا شجرة مما ترون، وأدركت أُخريات قومي يشهدون بمثل شهادتكم، يعني قول لا إله إلا اللَّه، ومعه ابن له يُهادي به في شجار، قد خَرِف، فقيل له: يا شرية، ما بال ابنك قد خرف وبك بقيَّة؟ قال: أما واللَّه ما تزوجتُ أُمه حتى أتت على سبعون سنة، وتزوجتها ستيرة عفيفة إن رضيت رأيت ما تقر به عيني، وإن سخطت تأثَّتْ لي حتى أرضى، وإن ابني هذا تزوج امرأة فاحشة بذيَّة، إن رأى ما تقر به عينه تعرضت له حتى يسخط، وإن سخط تَلَعَّبتهُ حتى يهلك. ثم قال شرية: وأحلف لا يبتز ثوبي واحد ولا اثنان، وإني بالثلاثة معذور ... قال أبو روق: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: مرَّ رجل بقوم يدفنون ميتًا ورجل يقول:

أُحثوا على دَيْسَم من بَرْدِ الثَّرَى	قِدْمًا أَبَى رَبُّكَ إلَّا ما تَرَى

قال: فقلت له: مَن هؤلاء؟ فقال: هذا ابني، وهذا بَنوه.

(38) قالوا*: وعاش عبيد بن شرية الجرهمي ... ثلاثمئة سنة، وقال بعضهم: مئتين وعشرين سنة، إلا أنَّا نظنُّ أنه

عاشها في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فأسلم؛ وقدم على معاوية بن أبي سفيان، فبلغنا أن معاوية قال له: أخبرني، كم أتى عليك؟ قال: مئتان وعشرون سنة. قال: ومن أين علمت؟ قال: من كتاب اللَّه. قال: ومن أي كتاب اللَّه؟ قال: من قول اللَّه تبارك وتعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} الآية، فقال له معاوية: وما أدركت؟ فقال: أدركتُ يومًا في أثر يوم، وليلة في أثر ليلة، مُتشابهًا كتشابه الحذفِ يحدوان بقوم في ديار قوم، يكذِّبون ما يبيد عنهم، ولا يعتبرون بما مضى منهم، حيُّهم يتلف، ومولودهم يخلُف، في دهر قد تصرف، أيامه تقلَّب بأهلها كتقلبها دهرها، بينا أخوة في الرَّخاء إذا صار في البلاء، وبينا هو في الزيادة إذ أدركه النُّقصان، وبينا هو حرٌّ إذا أصبح قِنًّا لا يدوم على حال، ولا تدوم له حال، بين مسرور بمولود ومحزون بمفقود، فلولا أن الحيَّ يَتلف لم يسعهم بلد، ولولا أن المولود يخلف لم يبقَ أحد. قال معاوية: يا عبيد، أخبرني عن المال، أيُّهُ أحسن في عينك؟ قال: أحسن المال في عيني، وأنفعه غناء، وأقلُّه عناء، وأبعده من الآفة، وأجداهُ على العامة: عين خرارة في أرضٍ خوَّارة، إذا استودعت أدَّت، وإن استحلبتها درَّت فأفعمت، تَعُولُ ولا تُعال. قال معاوية: ثم ماذا؟ قال: فرس في بطنها فرس تتبعها فرس، قد ارتبطت منها

فرسًا. قال معاوية: فأيُّ النَّعم أحب إليك؟ قال: النَّعم لغيرك يا أمير المؤمنين. قال: لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه. قال معاوية: حدثَّني عن الذهب والفضة. قال: حجران إن أخرجتهما نفِدَا، وإن خزنتهما لم يزدَا. قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك، وأكلك وشربك، ونومك، وشهوتك للباءة. قال: أما قيامي فإن قمت فالسماء تبعد، وإن قعدت فالأرض تقرب؛ وأما أكلي وشربي فإني إن جُعتُ كلبتُ، وإن شبعت بُهِرتُ؛ وأما نومي فإن حضرت مجلسًا خالفني، وإن خلوت أُطلبه فارقني؛ وأما الباءة فإن بُذِلَتْ لي عجزت، وإن مُنعت غضبت. قال معاوية: فأخبرني عن أعجب شيء رأيته. قال: أعجب شيء رأيته، أني نزلت بحيٍّ من قُضاعة، فخرجوا بجنازة رجل من عذرة، يُقال له: حُريث بن جبلة، فخرجت معهم، حتى إذا واروه انتبذتُ جانبًا عن القوم، وعيناي تذرفان، ثم تمثَّلْتُ شِعرًا كنتُ رويتُهُ قبل ذلك:

يا قلبُ إنَّك في أسماءَ مغرورُ	اذكر وهل ينفعك اليوم تذكيرُ
قد بُحْتَ في الحبِّ ما تُخفيهِ من أحدٍ	حتَّى جَرَتْ بك إطلاقًا مَحاضيرُ
تبغي أمورًا فما تدري أعَاجِلُها	خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدِرِ اللّهَ خيرًا وارضَيَنَّ به	فبينما العسرُ إذا دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مُغتَبِطًا	إذ صارَ في الرَّمس تعفوه الأعاصيرُ

حتَّى كأنْ لم يكن إلَّا تذكُّرهُ	والدَّهرُ أيَّتمَا حالٍ دهارير
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه	وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ
وذاك آخر عهدٍ من أخيك إذا	ما المرءُ ضمَّنهُ اللَّحدُ الخناسيرُ

الخِنسير: والجمع الخناسير، ويُقال: الخناسرة، وهم الذي شيعوا الجنازة ... فقال رجل إلى جانبي يسمع ما أقول: يا عبد اللَّه، من قال هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به ما أدري إلا أني قد رويتها منذ زمان. قال: قائلها الذي دفناه آنفا، وإن هذا ذو قرابته أسرُّ الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه. فعجبت لما ذكر في شعره والذي صار إليه من قوله كأنه كان ينظر إلى موضع قبره. فقلت: إن البلاء موكَّل بالمنطق.

(39) قالوا*: وعاش سيف بن وهب بن جذيمة بن عمرو بن ثعلبة بن حيان بن ثعلبة بن ثعلبة ... وهو جرم، وإنما سمى بجرم لحاضنة كانت له تسمى: جرمًا، مئتي سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، وهو من بَلِيٍ، ثم من بني العجلان عن أشياخه ... وأما ابن الكلبي فقال: عاش ثلاثمئة سنة، وقال في ذلك:

ألا إنَّني عاجلًا ذاهبُ	فلا تحسبوا أنَّني كاذبُ
لبستُ شبابي فأفنيتُهُ	وأدركني القدرُ الغالبُ

وصاحبني حقبةً فانقضَى	شبابي وودَّعني الصَّاحبُ
وخصمٍ دفعتُ ومولًى نفعـ	ـتُ حتَّى يثوبَ له ثائبُ
وجارٍ منعتُ وفتقٍ رتقتُ	إذا الصدعُ أعيا به الشَّاعِبُ

(40) قالوا: وعاش عامر بن جُوَين بن عبد رُضا بن قُمران بن ثعلبة بن عمرو بن حيان بن ثعلبة ... وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء ... مئتي سنة. وقال في ذلك:

ماذا أُرَجَّى من الفلاحِ إذا	قُنِّعْتُ وسطَ الظَّعائِنِ الأُوَلِ
مُستعنزًا أطرد الكلاب عن الـ	ظل إذا ما دَنَونَ للحَمَلِ

وقال:

المرءُ يبكي للسَّلا	مةِ والسلامةُ لا تُحِسُّهُ
أوَ سالمٌ مَن قد تثـ	ـنَّى جلدُهُ وابيضَّ رأسُهُ

أو دَبَّ مِنْ هَرَمٍ وأو	دَى سمعُهُ وانْفَقَّ[46] ضرسُهُ
أودَى الزمانُ بأهلهِ	وبأقرَبَيهِ فَقَلَّ أُنسُه

(41) قالوا*: وعاش الحارث بن مُضاضٍ الجُرهُمِي، من جُرهُم الأكبر، وهو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ... أربعمئة سنة. وهو القائل:

يا أيُّها الحَيُّ بالنَّعْفِ المقيمونا	هُبُّوا فيوشَكُ يومًا لا تَهُبُّونا
إذ قال رَكبٌ لرَكبٍ سائرين معًا	لا بُدَّ أن تَسمَعُونا أو تُغنُّونا
حُثُّوا المَطِيَّ وأرخوا من أزِمَّتها	قبل الممات، وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
كُنَّا أُناسًا كما أنتم فغَيرَّنا	دَهْرٌ فسوف كما كُنَّا تكونونا
قد مال دهرٌ علينا ثمَّ أهلكنا	بالبغي منه فكلُّ النَّاسِ يأسُونا

[46] قوله انفقَّ: هكذا في الأصل ... وفي رواية: انقفَّ ضرسه: بتقديم القاف على الفاء.

يا أيها النَّاسُ سيروا إنَّ قَصرَكُمُ	أن تُصبِحوا ذات يومٍ لا تَسِيرونا[47]

وقال أيضًا:

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصفا	أنيسٌ ولم يَسمُر بمكَّةَ سامرُ
بَلَى نحن كُنَّا أهلها فأبادنا	صُرُوفُ اللَّيالي والجُدُودُ العواثِرُ

(42) قالوا*: وعاش جعفر بن قُرط العامري ... ثلاثمئة سنة، وأدرك الإسلام، وقال:

لم يَبْقَ يا خَذْلَةُ مِن لِدَاتي	أبو بَنين لا ولا بَنَاتِ
مِن مَسْقَطِ الشَّمسِ إلى الفُرَاتِ	ألَّا يُعدُّ اليوم في الأموات
هل مُشترٍ أبيعُهُ حياتي	

---

[47] وفي غير الأصل زيادة:

كُنَّا زمانًا ملوك الناس قبلكمْ	نأوى مكانًا حرامًا كان مسكونًا

(43) قالوا*: وعاش عباد بن أنف الكلب الصيداوي، من بني أسد عشرين ومئة سنة، وقال:

عَمِرْتُ فلمَّا جُزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً	وستين قالَ الناس أنت مُفَنَّدُ
فقلتُ لهم باللّهِ هل تُنكرونَني	وهل عابني إلَّا السخا والتمجُّدِ

السخاء ممدود، والراوية: إلا الندى والتمجُّد.

وأنِّي جوَادُ الكَفِّ سَمْحٌ بما حَوَتْ	يَدايَ من المعروفِ لا أتلدَّدُ
أجودُ وأحمي المُستجير من الرَّدى	إذا عَرَّد النِّكسُ الأحَمُّ الألَنْدَدُ[48]
ويومٍ ترى الأبطالَ من خوف شرِّهِ	سَكارَى عليهم غَبَيَةٌ تتردَّدُ[49]
شهِدتُ فَجَلَّيْتُ البلايا وأوقَها	بأسمر نحوَ المُبتغِي شَرَّ يقصدُ
وزِقٍّ كمُستدمي الغزالِ سبأتُهُ	لِفتيانِ صِدقٍ رِفدُهُم ليس يَنفَدُ
فقلتُ لهم عُلُّوا وتلك مطيَّتي	بكفِّي عَضْبٌ مَشرَفِيُ مُهنَّدُ

[48] الألندد: الكثير الخصومة.

[49] الغبية: لعلها من الغباوة ، وذلك قلة الفطنة ، ولم أقف عليها.

ففادتْ وقام الطَّاهيان فأوقدَا	بعلياءَ نارًا حَمُّها ليس يبرَدُ
فلمَّا اشتفُوا مِنها وأدبرَ وحشُهُم	صببتُ لهم صَهباء في الكأس تُزبدُ
وقلتُ لهم إنِّي حَميلٌ بمثل ما	رأيتم طُوَالَ الدَّهرِ لا أتزيَّدُ

ففادت: أي بردت وماتت ... ويُروى: فكاسَتْ: يعني قامت على ثلاث قوائم. الأوق: الشدة، يُقال: إنه لذو أوق ... قال أبو روق، وقال الرياشي: رأى رجل في المنام رجلًا مُسرِفًا على نفسه، فسأله عن حاله، فقال له، ما لقيت بعدكم أُوقة — وحشهم — جوعهم. ويُقال بات فلانًا وحشًا. الحميل، والكفيل، والضَّمين، والصَّبير، والزعيم سواء.

(44) قالوا*: وعاش عامر بن الظرب العَدواني ... مئتي سنة، وكان حَكمًا للعرب. وفيه يقول ذو الإصبع العدواني:

ومِنَّا حَكَمٌ يَقضِي	فلا يُنقَضُ ما يَقضِي

وهي أبيات ... وإنما قيل له ذو الإصبع؛ لأنه كانت له في رجله إصبع زائدة، وكان من أمره، أن وَجًّا، وهو وادي الطائف، وهو حرم الطائف الذي حرمه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فلا يُصاد صيدها، ولا يختلي خلاها، وكان ثقيف، وهو قَسِيُ بن منبِّه باليمن، فأتاه أبو رِغال فصدَّقه، فأخذ شاته اللَّبون، وترك الأخرى، فأبى ثقيف أن يتركها، وقال: فيها قُوتِي، فأبى أن يتركها، فرماه ثقيف، فقتله، ثم لحق بالطائف

فوجد فيها ظربًا شيخًا كبيرًا، فأخذه، فقال: لتؤمنَّني أو لأقتلنَّك، ثم لتنزلنِّي أفضل أرضك منزلًا، فآمنه، وأنزله. فلما جاء عامر ابنه قال له: يا أبتاه، مَن هذا؟ قال: هذا رجل تبوَّأ وادينا بغير حمد أحد. فقال عامر بن ظَرِب:

أرى شعراتٍ على حاجبَـ	ـيَّ بِيضًا نبتنَ جميعًا ثُؤَامًا
أظلُّ أُهاهي بهنَّ الكلا	بِ أُحسَبُهُنَّ صوَارًا قِيامًا

أُهاهي: أزجرها، أقول هَأْهَا.

وأحسبُ أنفِي إذا ما مشيـ	ـتُ شخصًا أمامي رآني فقاما

قال أبو حاتم: وذكر أصحابنا عن الشعبي أن ابن عباس قال: قضى عامر بن الظرب العدواني، من جديلة قيس، على العرب بعد عمرو بن حممة الدَّوسي، فأتى عامر بخنثى له، ما للرجل وما للمرأة، فأشكلت عليه، فأقام أربعين يومًا لا يقضى

فيه بشيء، فأتته أَمَةٌ سوداء تسمى: خُصَيلة[50]، فقالت: أيها الشيخ، أفنيت علينا ماشيتنا؛ وإنما أُفناهنَّ أنه كان يذبح لأصحاب المسألة كل يوم شاة. فقال: ويلكِ، إني أتيت في أمرٍ لا أدري أصعِّدُ فيه أم أُصَوِّبُ. فقالت: وما ذاك؟ قال: أتيت بمولود له، ما للرجل وما للمرأة. قالت: وما يشقُّ عليك من ذلك؟ أتبعه المبال، أقعده، فإن كان يبول من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن كان يبول من حيث تبول النساء فهي امرأة. قال - وكان كثيرًا ما يعاتب الأمة في رِعيتها إذا سرحت، فقال: أسيئي يا خُصيل أو أحسني، فلا عتاب عليكِ، قد فرَّجتِها عني. فلما أصبح قضي بالذي أشارت. فلما جاء الإسلام شدَّدَ القضية، فصارت سُنَّة في الإسلام، يعني الإسلام شدَّدها ...

---

[50] اختلف النسَّابون في هذه الحكومة ومن حكم بها ... وكان أبو عُبيدة ينسبها إلى المتلمس بن سحور ، وسمى الأمة: سُحيلة ، ويقول ما سبق المتلمس إلى هذا أحد ... وقال غيره اليمن تدعي هذا الحكم وتزعم أنه عمرو بن حمة الدوسي ... وربيعة تدعيه وتزعم أنه مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هرم بن مرة ... وأن خالدًا هذا هو الذي يعرف بذي الجدين ... وقال ابن الكلبي: والذي لا شك فيه أنه عبد الله بن همام ، وناس تزعم أنه ربيعة بن الأُسيدي ، وناس تزعم أنه عامر بن الظرب ، وهو المجمع عليه.

قالوا: وعاش عامر مئتي سنة، وقالوا: ثلثمئة سنة ... قال أبو حاتم: ذكروا ذلك عن مجالد عن الشَّعبي ... قال أبو روق: وحدثناه الرياشيُّ، قال: حدثنا عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال: كُنَّا عند ابن عباس، وهو في ضَفَّة زمزم يُفتِي الناس؛ إذ قال أعرابي: أفتيت الناس فأفتِنَا. قال: هات. قال: أرأيت قول الشاعر المتلمس:

لذي الحِلمِ قبلَ اليومِ ما ثُقرَعُ العصا	وما عُلِّمَ الإنسانُ إلَّا ليَعلما

قال ابن عباس: ذاك عمرو بن حُممة الدَّوسيُّ، قضى على العرب ثلاثمئة سنة، فكبرَ، فألزموه السابع من ولده، فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت بينه وبينه أن تُقرع العصا حتى يعاودَه عقله، فذلك قول المتلمس اليشكريُّ من بكر بن وائل:

*لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا. قال ذو الإصبع العدوانيُّ بعد ذلك بدهر:

عَذِيرَ الحيِّ من عَدوا	ن كانوا حَيَّة الأرضِ
بَغَى بعضُهُم بعضًا	فلم يَرعَوا على بَعضِ
ومنهم كانت السَّادا	تُ والموفونَ بالقرضِ
وهم بلغوا على الشَّحنَا	ءِ والشَّنئان والبغضِ

مَبالغَ لَم ينلها النَّا	س في بَسطٍ ولا قبضِ
وهُم إن وَلَدُوا أشبوا	بسرِّ النَّسب المحض
ومنهم حَكَمٌ يَقضِي	فلا يُنقَضُ ما يَقضي

يعني: عامر بن الظَّرب. أشبى الرجل إذا شبَّ ولده ... فلما كبر عامر وتخوَّف قومه أن يموت اجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا وشريفنا، أوصِنا ... فقال: يا معشر عدوان، كلفتموني تعبًا، إن القلب لم يُخلق ... ومن لك بأخيك كلِّه، إن كنتم شرَّفتموني فقد التمست ذلك منكم، وإني قد أريتكم ذلك من نفسي، وأني لكم مثلي، أفهموا عني ما أقول لكم؛ من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، لا تفرحوا بالعلق ولا تشمتوا بالزلَّة، وبكل عيش يعيش الفقير، ومن يُرِ يومًا يُرَ به، وأعدُّوا لكل أمر قدره، قبل الرِّماء تُملأُ الكنائن، ومع السفاهة الندامة، والعقوبة نَكَال وفيها ذمامة، فلا تذموا العقوبة، واليد العليا معها عافية، والقود راحة لا عليك ولا لك، وإذا شئت وجدت مثلك، إنَّ عليك كما إنَ لك، وللكثرة الرُّعب وللصبر الغلبة، من طلب شيئًا وجده، وإن لا يجده يوشك أن يقع قريبًا منه. فيا معشر عدوان، إياكم والشر فإن له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إنه من

دفع الشرَّ بالشرِّ رجع الشرُّ عليه، وليس في الشرِّ أسوة، ومن سبقكم إلى خير فاتبعوا أثره تجدوا فضلا، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب. يا معشر عدوان، إن الأوَل كفى الآخر، فمن رأيتموه أصابه شر فإنما أصابه فعله، فاجتنبوا ذلك الذي فعله. يا معشر عدوان، إن الشرَّ ميتٌ، وإنما يأتيه الحيُّ فيصيبه، ومن اجتنب الشرَّ لم يثب الشرُّ عليه. يا معشر عدوان، إن الخير عَزوف ألوف، ولم يفارق الخير صاحبه حتى يُفارقه ولن يرجع إليه حتى يَأتيه. يا معشر عدوان، ربُّوا صغيركم، واعتبروا بالناس ولا يعتبر الناس بكم، وخذوا على أيدي سُفهائكم تقلل جرائركم، وإياكم والحسد فإنه شؤم ونكد، وإن كلَّ ذي فضل واجد أفضل منه، ومن بلغ منكم خطَّة خير فأعينوه واطلبوا مثلها، ورغِّبوه في نيَته، وتنافسوا في طريقته، ومن قصَّر فلا يلومنَّ إلا نفسه، وإني وجدت صدق الحديث طرفًا من الغيب فاصدقوا تُصَدَّقوا. يقول: من لزم الصدق وعوَده لسانه وفِّق، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنُّه إلا جاء على ظنِه. وإنِّي رأيتُ للخير طرقًا فسلكتُها، ورأيتُ للشرِّ طُرُقًا فاجتنبتها، وإني واللَّه ما كنتُ حكيمًا حتى تتبَّعتُ الحكماء، وما كنت سيِّدكم حتى تعبَدتُ لكم، إن الموعظة لا تنفع إلا عاقلًا، وإن لكلِّ شيء داعيًا، فأجيبوا إلى الحق وادعوا إليه وأذعِنُوا له. يريد: ذِلُّوا للحق.

وكان من حديث عامر أنه زوَجَ ابنته فَعْمَةَ ابنة عامر ابن أخيه عامر بن الحارث بن ظرب، وقال لأمها، وهي: ماوية بنت عوف بن فهر حين أراد البناء بها: يا هذه، مُري ابنتك فلا تنزلن فلاة إلا ومعها ماء، وأن تُكثر استعمال الماء، فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جُعل للأعلى جَلاءً وللأسفل نقاءً، وإياكِ أن تميلي إلى هواكِ ورأيكِ، فإنه لا رأي للمرأة، وإيَّاكِ ووصيَتكِ، فإنه لا وصيَة لكِ، أخبري ابنتك، أن العشق حلوٌ، وأن الكرامة المؤاتاة، فلا تستكرهنَّ زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فإن الرضا الإتيان عند اللذة، ولا تُكثر مضاجعته فإن الجسد إذا ملَّ ملَّ القلب، ومُريها فلا تمزحنَّ معه بنفسه، فإن ذلك يكون منه الانقباض، ومُريها فلتخبأ سؤتها منه، فإنه وإن كان لا بد من أن يراها فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفة. فلما أُدخلت الجارية عليه نفرت منه ولم ترده. فأتى ابن أخيه العمَّ، فشكا ذلك إليه، فقال له عامر: يا ابن أخي، إنها وإن كانت ابنتي فإن لك نصيبًا مني — أو قال: فإن نصيبك الأوفر مني — فاصدقني، فإنه لا رأى لمكذوب، فإن صدَّقتَنِي صدقتك، إن كنت نفَّرتها فذعرتها، فاخفِضْ عصاك عن بكرتك تسكن، وإن كانت نفرت منك من غير إنفار فذلك الداء الذي ليس له دواء، وأن لا يكن وماقٌ ففراق، وأجمل القبيح الطلاق، ولم نسلبك أهلك ومالك، وقد خلعتها منك

بما أعطيتها، وهي فعلت ذلك بنفسها ... فزعمت علماء العرب أن هذا أول خُلع كان في العرب وثبت في الإسلام[51].

وكان من حديث عامر بن الظَّرب أيضًا، أنه كان يدفع بالناس في الحج، وذلك أنه كان وقومه طلبوا أن يُجيزوا مَن ورد عليهم من تلقاءِ محلَتهم ببطن وَجٍّ، وكان طريق أهل السَّراة، وهم أزدَ شَنُوءة، فدخلوا على صوفة، فكانوا يُجيزون عدوان يومًا، وصوفة يومًا، وكان الذي يتولى إجازة الحج من عدوان أبو سيَّارة العدوانيُّ (هكذا أملاه أبو حاتم، وليس بمستوٍ)، فقال:

يا ربَّةَ العيرِ رُدِّيه لمرتعهِ	لا تَطعني فتُهِيجِي النَّاسَ بالظَّعَنِ

[51] قلت: وأول خُلع كان في الإسلام أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، فكرهَتْهُ ، وكان رجلًا ذَميمًا ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يا رسول الله ، إني لأراه ، فلولا مخافة الله عزَّ وجل لبزقتُ في وجهه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتَرُدِّين عليه حديقته التي أصدقكِ ؟ قالت: نعم. فأرسل إليه: فردَّتْ عليه حديقته ، وفرَّق بينهما. فكان ذلك أول خلع كان في الإسلام.

أضحتْ أيادي بَني عمرو مُجَلَّلَةً	تمَّت بلا كَدَرٍ فيها ولا مِنَنِ
ثوابُ ما قد أتوهُ عندنا لهم	الشُّكرُ منَّا لِما أسدَوا من الحَسَنِ

فأجاز أبو سيَارة العدوانيِ بالناس أربعين سنة على عيرٍ له، حتى إن كانت العرب لتضرب المثل به فتقول: أصحُّ من عير أبي سيَّارة ... قال: فبينا عامر يدفع بالناس؛ إذ بصر به رجل من ملوك غسَّان فأعجبه نحوه فكلَّمه، فإذا أحكم العرب وأحلمه قولًا، وفعلًا، فحسده الغسَّانيُّ وقال في نفسه: لأُفسدنَّه. فلما صدر الحاج أرسل الملك إلى عامر، أن زُرني حتى أتَّخذك خِلًا، وأحسن حِباءك، وأُعَظِّم شرفك. فأقبل عامر على قومه، فقال، ماذا ترون؟ قالوا: نرى ألا تردُّ رسوله، اشخَص ونشخص معك، فتصيب من رفده ونفعه ونصيب معك، ونتجه بجاهك. فخرج وخرج معه نفر من قومه. فلما دخل بلاده تكشَّفَ له رأيه وأبصر أنه قد أخطأ، فجمع إليه أصحابه، فقال: ألا ترون أن الرأي نائم والهوى يقظان؟ وقد يغلب الهوى الرأي، ومن لم يغلب الهوى بالرأي ندم، وعجلت حين عجلتم عليَّ، ولئن سلمتُ لا أعود بعدها لمثلها، وإنا قد تورَطنا في بلاد هذا الرجل، فلا تسبقوني بريثِ أمرٍ أقيم عليه، ودعوني ورأيي وحيلتي لكم ... فقدم على الملك، فضرب له قُبَة ونحر له جزورًا، فقال له القوم: قد أكرمنا كما ترى، وما وراء هذا خير منه ... فقال: لا تعجلوا، فلكلِّ عام

طعام، ولكل راعٍ مرعًى، ولكل مُراح مُريح، وتحت الرِّغوة الصريح. فمكثوا أيامًا، ثم أرسل إليه الغساني: قد رأيت أن أجعلك الناظر في أمر قومي، فإني قد رضيت عقلك، وأتفرغ للذَّتي ومركبي، فما رأيك؟ فقال: أيها الملك، ما أحسب أن رغبتك فِيَّ بلَّغتك أن تجعل لي ملكك، فقد قبلت إذ وليتني أمور رعيَّتك وقومك، وإن لي كنز علم، وإن الذي أعجبك من علمي إنما هو من ذلك الكنز أحتذي عليه، وقد خلَّفته خلفي، فإن صار في أيدي قومي علم كلُّهم مثل علمي، فأْذَنْ لي حتى أرجع إلى بلادي فآتيكَ به، فإن صرتُ بهذا العلم إلى بلدك أبحته ولدك وقومك حتى يكونوا كلهم علماء ... وكان الملك جاهلًا، فطمع أن يقطع أصل العلم من عندهم، ويصير لقومه دونهم. فقال له الملك: قد أذنت لك بتعجيل الرَّجعة ... فقال له عامر: إن قومي أُضِنَّاءُ بي، فاكتب لي كتابًا بجباية الطريق فيرى قومي طمعًا يُطَيِّبُ أنفسهم عني، وأستخرج كنزي، وأرجع إليك. فكتب له بذلك، فعاد إلى أصحابه ... فقال: ارتحلوا. فقالوا تاللَّه ما رأينا وافد قوم قطُّ أبعدَ من نوال، ولا أحيَدَ عن مال ... قال لهم: مهلًا، فإن أفضل الرزق الحياة، ولها يُراد الرزق ... وقال: ليس على الرزق فوت، وغَنِمَ من نجا من الموت، ومن لا يَرَ باطنًا يعِش واهنًا. يقول: من لم ينظر في المتعقِّب عاش واهنًا ضعيفًا. والباطن ههنا: المتعقِب والنظر

في العاقبة. ولو أخذ فيَّ لومكم لاتبعت قولكم، ويل أمِّ الآيات والعلامات، والنظر والاعتبار، والفكر والاختبار ... ثم قدم على قومه، فقال: رُبَّ أكلة تمنع أكلات، وسنة تجبر سنوات، ثم أقام فلم يعد.

وكان من حديث عامر بن الظرب أيضًا أنه خطب إليه صعصعة بن معاوية ابنته، فقال: يا صعصع، قد جئت تشتري مني كبدي، وأكرم ولدي عندي، منعتك أو بعتك، النكاح خير من الأيْمة، والحسب كِفاء الحسب، والزوج الصالح يُعدُّ أبًا، قد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك، يا معشر دَوْسٍ: (قال: وقال أكثر أصحابنا يا معشر عدوان)، خرجت كريمتكم من بين أظهركم من غير رغبة عنكم، ولكنه من خُطَّ له شيء جاءه، رُبَّ زارع لنفسه ما حاصده غيره، ولولا قِسم الحظوظ ما أدرك الآخر مع الأول شيئًا يعيش به، ولكن رزق آكل من آجل وعاجل، إن الذي أرسل الحيا أنبت المرعى ثم قسَّمه (أي: حفظ وكلأ)، لكل فم بقلة، ومن الماء جُرعة، تروون ولا تعلمون، ولن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ قلب واع، ولكل مرعًى راعٍ، ولكل رزق ساعٍ، ولكل خلق خُلُق، كَيِّسٌ أو حُمق، وما رأيتُ شيئًا قَطُّ إلا سمعت حسَّه ووجدت مسَّه، وما رأيت شيئًا خلق نفسه، وما رأيت موضوعًا إلا مصنوعًا، وما رأيت جائيًا إلا ذاهبًا، ولا غانمًا إلا خائبًا، ولا نعمة إلا ومعها بؤس، ولو كان يُميتُ الناس الداء

لأعاشهم الدواء، فهل لكم في العلم العليم؟ ... قيل: وما هو؟ فقد قلت فأصبت، وأخبرت فصدقت ... فقال: أرى أمورًا شتَّى، وشيئًا شيئًا حتَّى ... قالوا: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حيًّا، ويعود لا شيء شيئًا؛ ولذلك خلقت الأرض والسماء. فتولوا عنه ذاهبين ... فقال: ويل أمَّها نصيحة، لو كان لها من يقبلها بقبولها.

(45) قالوا*: وعاش سِمعان بن هُبيرة، وهو السِّمال الأسدي ... سبعًا وستين ومئة سنة. وهو الذي يقول:

وهادئةٍ مِن شيبَتي وتحَنُّني	وطولِ قُعُودِي بالوصيدِ أُفَكِّرُ
تقولُ فَتَى سِمعَان بعد اعتداله	وبعد سواد الرأس فالرأس أزعرُ
فقلتُ لها لا تهزئي إنَّ قَصْرَكِ الـ	ـمنايا ورَيبُ الدَّهرِ بالمرءِ يَغدِرُ
فكم من صحيحٍ عاش دهرًا بنعمةٍ	فحلَّ به يومٌ أغرُّ مُشَهَّرُ
فصار لقًى في البيت لا يبرحُ الفنا	رَذِيًّا عليه كآبةٌ وتوَقُّرُ
وقد كان مِدلاجًا إلى المجد مُتعبًا	إليه المطايا عُمرَهُ ليس يَفْتُرُ
فلمَّا ترَمَّتْهُ المنايا ورَيبُها	تقوَّسَ منه الظَّهرُ فالخطوُ مُقصِرُ

كذا قال أبو حاتم: مُقْصَر، وهو غلط؛ لأنه لا يقال: أقصر الخطوُ، إنما يُقال قصر، ويجوز: فالخطو مُقَصِّرُ، مصدر، فجعل المصدر الميمي صفة للخطو.

وعادَ كفرخ النَّسر أعمى عن الَّتي	يُريد طُوال الدَّهر يَهذِي ويَهذرُ
فإن أَكُ شيخًا فانيًا فلربما	أصبتُ الَّذي أهوى وما كنتُ أحذرُ
ورُبَّ خُيُورٍ جَمَّةً قد لَقَيتُها	وشرٍّ كثيرٍ عن شواتى تحدَّرُ

شواته: جلدة رأسه.

وخيل دعتني للنِّزال أُجبتها	وفي الكفِّ منِّى مَشْرَفيٌ مُذَكَّرُ
وتحتي طِمِرٌّ مُستطارٌ فؤادُهُ	سليم الشَّظا نهدٌ كُميت مُضمَّرُ
فنازلتُ إذ نادُوا نَزَالِ ونِلتُ ما	ينالُ الكريم الأحوذيُّ المُشَمِّر
فذلك دهرٌ قد مضى حُلوُ عَيْشِهِ	وغادرني شِلوًا لي الذئب يَكشُرُ
وقد كنتُ أَبَاءً على القِرنِ مِرجَمًا[52]	أجود وأحمي المسنفات وأحبَرُ
ولَلمُوتُ خيرٌ لامرئٍ من حياته	بدارة ذلٍّ عَلبَلايَا يُوَقَّرُ

[52] المرجم: الشديد ، ورجل مرجم: أي شديد.

علبلايا: يريد على البلايا، فأدغم اللام ... وقال أبو حاتم: وآخر حرف في كتاب سيبويه علماء بنو فلان، يريد على الماء.

قالوا*: وعاش فالِجُ بن خَلاوة بن سُبَيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان ... ثمانين ومئة سنة، وكان فارسًا، وكان عِرِيضًا، يعرض فيما ليس يعنيه، وهو الذي تضرب العرب به المثل، يُقال للرجل إذا عرض فيما لا يعنيه: أنت من هذا الأمر فالج بن خلاوة ... حدثنا أبو حاتم قال: أخبرنا به أبو زيد، فقال: أنت كفالج بن خلاوة. ولا عَقِبَ لفالج ... وقال يذكر اعتراضه فيما لا يعنيه:

ألا رُبَّ أمرٍ مُعضَلٍ قد ركِبتُهُ	بِثَنيىً فِعْلَ التَّيِّحانِ المُضَلَّلِ[53]
فأقشَعَ عنِّي لم يضرني ورُبَّما	أجرَّ الفتى ما كان عنه بمعزِلِ
وقد كنتُ ذا بأوٍ على النَّاس مرَّةً	إذا جئتُ أمرًا جئتُه الدَّهرَ من علِ

[53] التيحان: الكثير الحركة ، العريض فيما لا يعنيه.

فلمَّا رماني الدَّهر صرتُ رذيَّةً	لكل ضعيفِ الركن أكشفَ أعزَلِ
فيا دهرُ قُدمًا كنتَ صعبًا فلم تزل	بسهمك ترمي كلَّ عظمٍ ومفصلِ
فقد صرت بعد العز أُغضِي مذلَّةً	على الهُونِ والأزمانُ ذاتُ تنقُّلِ
فكم قد رأيت من هُمام متوَّج	من التِّيه يمشي طامحًا كالسَّبَهْلَلِ[54]
فأصبحَ بعد التِّيه كالبعر ذِلَّةً	قليلَ البتاتِ كالضَّريكِ المُعيَّلِ[55]
وآخر قد أبصرتُهُ مُتلَفِّعًا	بريطةِ ذُلٍ كان غير مُبَجَّلِ
يدين له الأقوام سرًّا وجهرةً	يروحُ ويغدوا كالهُمام المُرَفَّلِ
كذلك هذا الدَّهر صارت بطوتُه	ظهورًا وأعلى الأمر صارَ كأسفلِ
فصبرًا على رَيبِ الزمانِ وعَضِّهِ	ولا تكُ ذا تِيهٍ ولا تتعَلَّلِ
خُذ العفو واقنع بالصَّحاحِ فربَّما	أكونُ لَزَازَ العارضِ المُتهَلِّلِ

الصحاح: الصحة، مثل: الضَّجاج والضَّجَّة، وأنشد:

---

[54] السبهلل: من قولهم: جاء يمشي سبهللًا ، إذا جاء وذهب فارغًا في غير شيء.

[55] الضريك: وصف للمهيل ، وهو الفقير السيّء الحال.

وخُطَّ أيَّام الصَّحَاحُ والسَّقم

وقال:

مُعترِضٌ لِعَنَنٍ لم يَعْنِهِ	أدرك مال غيره بجنّه
فاحتاز شيئًا لم يكن من ظَنَّه	كأنَّما يحتازُ ماءَ شَنَّه

(47) قالوا*: وعاش جِروة بن يزيد الطائي ... وكان ينزل بلخ خراسان، نزلها أيام عبد اللَّه بن عامر، وهو قريب من ابن مئة سنة، وقُتل مع سورة بن أبجر، وهو أشل اليد اليسرى، ضُربتْ يده يوم زحف التُّرك إلى الأحنف بن قيس، فشُلَّتْ يده، فأعطاه الأحنف دِيتَهَا، وكتب إلى ابن عامر فأعطاه ديتها أيضًا، وأمر له بعشرة آلاف درهم. وكتب إلى الأحنف: كافئ على البلاء، فإنَّ اللَّه يحبَّ الشَّاكرين. وكان يُكثر الغزو وهو شيخ

كبير، وكان لا يليق[56] شيئًا سخاء، وكان شجاعًا مُشَيَّعًا، وهو الذي يقول:

تلومُ حليلتي بالغزو جهلًا	وغيرُ الغزوِ أُولى بالملامِ
ولولا الغزوُ كنت كمن يُعَادَى	بأنواعِ الشَّبارق والمُدامِ

الشبارق: الطعام، لفظ فارسي مُعَرَّب.

قليل الهمِّ يزهدُ في المعالي	ويرضى بالقليلِ من الطَّعامِ
فهَمِّي غير همِّكِ فاتركيني	وغزوي إنَّه همُّ الكرامِ
سأُغزو التُّرك إنَّ لهم عُرامًا[57]	وبأسًا حين تزحفُ للزِّحامِ
هو الموتُ الزُّؤَام إذا تنادَوا	لحربٍ يُستطار لها عُقامِ

[56] قوله: لا يليق شيئًا: أي لا يمسك شيئًا.

[57] العرام: الشدة والقوة والشراسة.

حدثنا أبو حاتم قال: أخبرنا أبو عبيد قال: الزؤام: الموت الوحي.

تراهُم في الحديدِ كأُسدِ غابٍ	على جُردٍ عوابسَ كالجلَامِ[58]
طَوَوْها للغِوَارِ فأضمروها	فآضت لا تَضِجُّ من الكلامِ
ولا تنحاشُ من ذُعرٍ ولا مِن	مباشرةِ الأَسِنَّةِ والسِّهامِ
وعندي حين أُغزوهم عَتادٌ	عتيدٌ كل مصقولٍ حُسامِ
وكلُّ طِمِرَّةٍ مَرطَى سَبُوحٍ	أمامَ الخيلِ ظاهرةِ القَسَامِ
وكل مُثَقَّفٍ لَدْنٍ عَسُولٍ	عليه مثل نبراسِ النَّهَامِ
إذا أُنحيتهُ في القِرْنِ أُصمَى	ولا ينآدُ للحَلقِ الثُّؤَامِ

[58] الجلام: جمع جلم ، وهو تيس الظباء ، شبه بها الخيل.

لا ينآد: لا ينثني. والتوأم: يعني حلقتين، وهذه دروع حُلُقُها مضاعف.

وفتيانٍ إذا نُدِبوا لحربٍ	تمشَّوا مشيةَ الإبل الهيامِ
يرون عليهم للَّه حقًّا	مُقَارعة الطَّماطِمَةِ الطَّعَامِ
يريدون المثوبة من إلهٍ	بصيرٍ تحت قَسطالِ القَتَامِ

قسطال: غبار.

وكلُّهم يُرَادي التُّرك قِدمًا	ويحوى مُنفِسًا في كلِّ عامِ
ويرجو اللَّه لا يرجو سواه	وراجي اللَّه يرجع بالسَّلامِ
وقالت قد كبرتَ فقلتُ كلَّا	وربِّ البيت والشَّهر الحرامِ
لقد أبطلتِ ما كِبري بمُدني	إلىَّ حليلتي قدر الحِمامِ
سأغزو أو أموت كذا خُفاتًا	ولا آتى بداهيةٍ وذَامِ
فإنَّ الدَّهر يلعبُ أبْرَدَيهِ	بكلِّ مُذمَّمٍ جَلْدِ العظامِ
ويترُك كلَّ مضعوفٍ جريءٍ	على الأبطالِ يُعرَفُ بالزَّحامِ

وهو الذي يقول لامرأته:

وقالت قد كبرتُ وقلت حقًّا	كبرتِ فكفكفي ودَعِي عِتابي
عتابُكِ كلَّ يومٍ لي عَذَابٌ	ومِثلي لا يَقِرُّ على العذابِ

فإن لم تصبري وكرهتِ قُربي	فدونكِ ما أردتِ من اجتنابي
سأغزو التَّرك في نفرٍ كرامٍ	سراعٍ حين تُدعى للضِّرابِ
يَرَونَ الموت أفضلَ من حياةٍ	تُصَيِّرُها الدُّهور إلى تَبَابِ
وفي الأيَّام لي عظةٌ وناهٍ	وما أرضى مُعاتبة الكَعَابِ
لأنِّي أطلب الأمر الَّذي لا	يُنَالُ بغير ضربٍ للرِّقابِ
فيا لَيْثَ السيوف تعاوَرَتني	بأيدي معشرٍ كأُسود غابِ
فألقى الموت مُشتهرًا فَعَالِي	ولم تدْنَسْ بُمخزيةٍ ثيابي
وكُفِّي خلَّتي وتجنَّبيني	وكلُّ العيشِ ويحك للذَّهابِ
وقد أغدو أقودُ إلى المنايا	فُثُوًّا زجرهم بهلٍ وهابِ
إذا ما عاينوا موتًا زؤامًا	تَمَشَّوا مشيَةَ الإبلِ الظِرابِ
رجاءً أن تُصيبَهُمُ المنايا	فينجو مِن أليماتِ العقابِ

وقال أيضًا:

لعمري وقد جاوزت تسعين حجَّةً	وتسعين أرجو أن أُعَمَّرها غدًا
فما زادني صبري على ما ينوبني	من الدَّهر ضعفًا لا ولا كدَّ لي زَنْدًا
وأرجو وأخشى أن أموت ولم أقُمْ	تُخَذِّعُني بيضٌ ضربنا بها السُّفدَا
أذلَّتْ لنا أركانَهُم بَعدَ عِزَّةٍ	وكانوا أُباةً حين تَعلَقُهُم صَمدًا
فلا تهزَئي مِنَّا ولا تتعجَّبي	فلستُ أرى مِمَّا قضى اللّهُ لي بُدًّا

(48) قالوا*: وعاش بحر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب بن هبل الكلبيُّ ... مئة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وقال:

من عاش خمسين حولًا بعدها مئة	من السِّنينَ وأضحى بعدُ ينتظرُ
وصار في البيت مثل الحلس مُطَّرِحًا	لا يُستشارُ ولا يُعْطِي ولا يَذَرُ
ملَّ المعاش وملَّ الأقربون له	طُولَ الحياة، وشرُّ العيشةِ الكَدَرُ

(49) قالوا*: وعاش مسعود بن مصاد بن حِصن بن كعب بن عُليم بن جناب بن هُبل، من كلب ... مئة سنة وأربعين سنة، وقال:

أصبحتُ يا أمَّ بَكرٍ قد تخوَّنَنِي	رَيبُ الزَّمانِ وقد أزرَى بي الكبرُ
لا أستطيعُ نهوضًا بالسِّلاحِ ولا	أُمضي الهموم كما قد كنت أبتكرُ
أمشي على محجنٍ والرَّأس مُشتعلٌ	هيهات هيهات طالَ العيش والعُمُرُ
قد كنت في عُصُرٍ لا شيء يعدِلُهُ	فبانَ منِّي وهذا بعدَهُ عُصُرُ

(50) قالوا*: وعاش امرؤ القيس بن حُمام بن عبيدة بن هبل بن عبد اللَّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللَّه بن رُفيدة ... فقال في ذلك:

إنَّ الكبيرَ إذا طالت زَمَانته	فإنَّما حَملُه جِنَازةً عارُ
ومن يَعِش زَمنًا في أهله خرفًا	كَلًّا عليهم إذا حَلُّوا وإن ساروا

يذمُم مرارة عيش كان أوَّلُهُ	حُلوًا وللدَّهرِ إحلاءٌ وإمرَارُ

(51) قالوا*: وعاش عوف بن سُبيع بن عُميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جرم بن ربَان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ... مئة سنة وثمانين سنة. وقال في ذلك:

ألا هل لِمَنْ أجرى ثمانين حِجَّةً	إلى مئة عيشٌ وقد بلغَ المدا
وما زالت الأيَّام ترمي صفاته	وتغتاله حتَّى تضعضع وانحنا
وصارَ كفرخِ النَّسرِ يهتزُّ جِيدُهُ	يَرَى دُونَ شخصِ المرءِ شخصًا إذا رأى
وبُدِّلَ من طِرفٍ جَوَادٍ حَشِيَّةً	ومِنْ قوسه والرُّمحِ والصَّارِمِ العصا
وإنِّي رأيتُ المرْأَ يظعنُ جارُهُ	لنيَّتِهِ لا بُدَّ يومًا وإن ثَوَا

(52) قالوا*: وعاش عامر، وهو طابخة بن تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ... خمسمئة سنة

وعشرين سنة، ولا أعلمه قال شعرًا، وهو معروف بطول العمر[59].

(53) قالوا*: وعاش أبو الطَّمَحان القينيُ حنظلة بن الشَّرقيُّ، من بني كنانة، بن القين بن جسر بن شيع اللَّه[60] بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ... مئتي سنة. وقال في ذلك:

حَنَتْنِي حانياتُ الدَّهرِ حتَّى	كأنِّي خاتلٌ[61] يدنو لصيدِ
قريبُ الخطوِ يحسب مَن رآني	ولستُ مُقَيَّدًا أنَّى بقيدِ

[59] قلت: قال غير أبي حاتم ... ليس لتغلب بن حلوان ولد غير وبرة وعامر ، وهو طابخة هذا أخو عمرو ، وهو مدركة ، وعُمَير ، وهو قمعة ، والله أعلم.

[60] قلت في الجمهرة وغيرها: ابن شَيْع اللاة.

[61] أورده غير أبي حاتم (حابل أدنو لصيدٍ) ، وعزا روايته للفراء.

حدثنا أبو حاتم، قال: حدثني عدة من أصحابنا: أنهم سمعوا يونس بن حبيب النحويُّ يُنشدُ هذين البيتين كثيرًا فيما زعم أصحابنا، وكان يُنشِدُ أيضًا:

تقارَبَ خَطوُ رجلِكَ يا سُوَيدُ	وقيَّدكَ الزَّمانُ بشرٍّ قيدِ

(54) قالوا*: وعاش حارثة بن صخر بن مالك بن عبد مناة بن هبل بن عبد اللَّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللَّه بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة ... مئة سنة وثمانين سنة، حتى أدرك الإسلام فلم يُسلم، وأسلم ابنه جناب بن حارثة بن صخر، وهاجر إلى المدينة، فجزع من ذلك جزعًا شديدًا، وأنشأ يقول:

تركت أباكَ بالأودَاتِ كَلًّا	وأمَّك كالعَجُولِ من الظِّرابِ
فلا وأبيكَ ما باليتُ وَجدي	ولا شَوقي الشَّديدَ ولا اكتيابي
ولا دمعًا تجودُ به المآقي	ولا أسَفِي عليكَ ولا انتحابي
فَعَمْرَكِ لا تَلُوميني ولُومي	جَنَابًا حينَ أزمَعَ بالذَّهابِ
إذا هَتَفَ الحمامُ على غُصُونٍ	جَرَتْ عَبَرَاتُ عَيني بانسكابِ
يُذَكِّرني الحمامُ صَفِيَّ نَفسِي	جنابًا مَنْ عَزِيزِي مِنْ جَنَابِ
أردتَ ثوابَ ربِّكَ في فِراقي	وقُربي كانَ أقربَ للثَّوابِ

(55) قالوا*: وعاش عبَّاد بن شدَّاد اليربوعيُّ مئة وثمانين سنة، وقال في ذلك:

يا بؤسَ للشَّيخِ عبَّادِ بن شَدَّادِ	أضحى رهينةَ بيتٍ بين أعوادِ[62]
وتهزَأُ العرسُ منِّي أن رأتْ جسدي	أحدَبَ لم تَبْقَ منهُ غيرُ أجلادِ
فإن تَرَيني ضَعيفًا قاصِرًا عُنُقِي	فقد أُكَعْكِعُ عنِّي عَدوَةَ العادي
وقد أُفيءُ بأثوابِ الرَّئيسِ وقد	اغدو على سَلْهَبٍ للوحشِ صَيَّادِ

(56) قالوا*: وعاش همَّام بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ... مئة وثمانين سنة. وقال في ذلك:

إنَّ الغواني قد عجبنَ كثيرًا	ورأيننني شيخًا صَحَوْتُ كَبيرًا
قَصرُ الغواني أن أردن هوادتي	حَسْبُ الكبير مُجَرَّبًا مخبورًا

[62] أنشده غير أبي حاتم: أضحى رهين صفيحات وأعواد.

إنِّي لأبذل للحليلِ إذا دنا	مالي وأتركُ ماله موفورًا
وإذا أردتُ ثواب ما أُعطَيْتُهُ	فكفى بذاك لنائلٍ تكديرًا
إنِّي امرؤٌ عَفُّ الخلائق لا أرى	طُرُقَ السَّماحةِ يا أُمَيمَ وُعُورَا

(57) قالوا: وعاش أُسَيِّدُ بن أوس التَّميميُّ ... مئة وتسعين سنة، وقتل له ثلاثون ابنًا في حربٍ كانت بينه وبين بني يَشكُر بن بكر بن وائل ... فقال لمن بَقِيَ من ولده وهو يوصيهم: يا بَنِيَّ، إني رأيتُ مُضطَلِعًا زالت حجارتُه، وقد رأيتُه أملس ليس فيه صَدع، ورأيت الدَّهر فلَّ الصُّخورَ، فليقترب بعضُكم من بعضٍ في المودَّة، ولا تَتَّكِلُوا على القرابة، فإن القريب من قرُبَ نفسه، والأمور بَدَوَات.

قالوا*: وانطلق أُسَيِّدُ بن أوس إلى الحارث بن الهَبُولة الغسَّاني، كان أخا معاوية بن شريف لأمِّه، أمُّهما ابنة رضا[63]

[63] قلت: سمَّاها بعض النسَّابة: مارية.

البارقي، يستمدُّه في حرب بني الشَّقيقة، فلما قدم عليه ... قال حَمَلٌ (وهو رجل): يوثق في الشدَّة بالقرابة وبصدق أهل الوفاء، إن خير السجيَّة ما لم يُتكلَف، وخير الأعوان على النَّجل النساء (يعني بالنجل: الأولاد)، ومن اتّخذ أداء الحق الحيطَة فقد كمل (والحيطة: غاية الحفظ)، والعفو: منتهى البر، ومنتهى البر الهوى، وبالصِّدق تمام المروءة، وبالكذب يُحسَرُ الأنصار، وبالقُرَنَاءِ تعتبر الرجال، وأغنى الخصال عن المادَة العَفاف، والعفو ترك العقوبة، وترك العقوبة يَسُلُّ السَّخيمة. قالوا: *وقال أُسَيِّد بن أوس في حجَّة الغدر، عام قاتلوا كَرِب بن زيد بن حسَّان بن ثُبَّع، فرجع إلى قومه بما أصاب، فقال ... الزموا البرَّ يَبَرُّكم بنوكم، أخِّروا الغضب ودافعوا بالأيَّام القُرُوضَ، فإن الرفق أبلغ، وآخر الدواء الكيُّ، وخير الثواب الشكر، وخَطَل القول عورة، وبالمرسَل يُعتَبَرُ المرسِلُ.

(58) قالوا*: وعاش الأُبَيْرد بن المعذَّر الرِّياحيُّ ... مئة وعشرين سنة ... وقال بعضهم: بل هو الأُبَيْرَد بن الحارث، من ثَيْم الرِباب بن عبد مناة بن أُدِ بن طابخة بن العباس بن مضر. وقال في ذلك:

ألا هَزِئَتْ مَودُودةُ اليومَ أن رأت	شَكِيرَ أعالي الرَّأس منِّي تَلَفَّعَا
وأن شابَ أصداغي وعَمَّمَ مَفْرِقي	مَشيبٌ وأمسى لونُ وجهي أسفعا

فقلتُ لها لا تهزءي من مجرِّبٍ	ترامَتْ به الأيَّامُ حتَّى تسعسَعَا
فإنَّكِ لو صاحبتنِي لم تعَنَّبي	ولم تجِدِي فينا لِكَفَّيكَ مَصْنَعًا
لَيَالي لوني واضِحٌ وذُؤابتي	غَرابيبُ في رأسِ امرئٍ غير أثْزَعَا

(59) قالوا*: وعاش عُبيد بن الأبرص الأسديُّ الشاعر[64] من بني سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد ... مئتي سنة وعشرين سنة، ويُقال: بل ثلاثمئة سنة. وقال في ذلك:

ولتأتِيَنْ بعدي قرُونٌ جَمَّةٌ	ترعَى مَخارِمَ أيكَةٍ ولُدُودَا
فالشمس طالعةٌ وليلٌ كاسِفٌ	والنجمُ يجري أنحُسًا وسُعُودًا
حتَّى يُقَال لمن تعَرَّقَ دَهرَهُ	يا ذا الزَمانةِ هل رأيتَ عبيدًا
مئتي زمانٍ كاملٍ ونَضِيَّةٍ	عشرينَ عِشْتُ مُعَمَّرًا محمودًا

[64] قلت: ضبطه صاحب شعراء الجاهلية لويس شيخو اليسوعي بضم العين ، وقد غلط ، ودأبه عدم التثبُّت ، فإنه حاطب ليل ، وكأنه لم يقف على قوله: (يا ذا الزمانة) البيت ... وعبيد هذا قتله المنذر بن ماء السماء ، وهو أحد فحول شعراء الجاهلية ، وأخباره مشهورة ، وشعره مجموع أكثره.

أدركتُ أوَّلَ مُلكِ نصرٍ ناشئًا	وبناءَ شدَّادٍ وكان أبِيدَا
وطلبتُ ذا القرنين حتَّى فاتني	رَكضًا وكِدْتُ بأن أرى داودًا
ما ثُبتغى من بعد هذا عيشةٌ	إلَّا الخلودَ ولن يُنالَ خُلودًا
ولَيَفنيَنَّ هذا وذاك كِلَاهُما	إلَّا الإلهَ ووجهَهُ المعبُودا

وقال أيضًا:

فنيتُ وأفناني الزَّمانُ وأصبحَتْ	لِدَاتي بَنُو نَعشٍ وزُهرُ الفَرَاقِدِ

(60) قالوا*: وعاشَ لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ... مئة وعشرين سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، وقال ابن الكلبي وغيره، بل عاش ثلاثين ومئة سنة، وكان يومَ جَبَلة ابن تسع سنين، وولد عامر بن الطُّفيل في ذلك اليوم. ووفد عامر إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وهو ابن نيِّف وثمانين.

وقالوا*: كانت أُعطيات الناس ألفين وخمسمئة، فكتب معاوية إلى زياد أن ينقص الخمسمئة ... وحدثنا أبو حاتم قال: سمعت الأصمعيَّ يقول: أراد أن يردَه إلى ألفين، فقال: ما بال العِلاوة بين العِدلين؟ فجاءَ لبيد ليأخذ عطاءَه. فقال زياد: أبا عقيل، هذان الخرجان. يعني الألفين، فما بال العلاوة؟ يعني الخمسمئة. قال: ألحق العلاوة بالخرجين، فإنك لا تلبث إلا

قليلًا حتى يصير لك الخرجان والعلاوة. قال: فأعطاه زياد ألفين وخمسمئة، ولم يُعطِها غيره. فما أخذ عطاء آخر حتى مات رحمه اللَّه ... وقال لبيد:

أليسَ ورائي إن تراخَتْ مَنِيَّتي	لُزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرونِ التِي مَضَتْ	أَدِبُّ كأنِّي كُلَّما قُمْتُ راكعُ

وقال:

ذهبَ الَّذينَ يُعاشُ في أكنافِهِم	وبَقِيْتُ في خَلَفٍ كَجِلدِ الأجرَبِ

وقال حين مضت له سبع وسبعون:

نَفسِي تشَكَّى إليَّ الموتَ مُجهِشَةً[65]	وقد حَمَلْتُكِ سبعًا بعد سَبعينَا
إن تُحدِثِي أملًا يا نفسِ كاذبةً	ففي الثَّلاثِ وفاءٌ للثَّمانينَا

فلما بلغ مئة وعشرًا قال:

---

[65] قلت: في نسخة شعره المجموع: باتت تشكي إليَّ النفس مجهشة البيت.

أليسَ في مئة قد عاشها رجلٌ	وفي تكامُلِ عَشرٍ بَعدَها عُمُرُ

فلما بلغ عشرين ومئة، قال:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها	وسؤالِ هذا النَّاسِ كيفَ لَبِيدُ

قال: وحدثنا الرَّياشي قال أبو روق، وحدثناه أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسَّانيُّ عن الهيثم بن الربيع قال: حدثنا أبي عن الشَّعبي قال، أرسل إليَّ عبد الملك بن مروان، وهو شاكٍ، فدخلت عليه، فقلت: كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحتُ كما قال ابن قَمِئَة أخو بني قيس بن ثعلبة. قلت: وما قال؟ قال: قال:

كأنِّي وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً	خلعتُ بها عَنِّي عِذَارَ لِجَامِي
رَمَتْنِي بناتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أرى	فكيفَ بمن يُرمَى وليس بِرامي
فلو أنَّها نَبْلٌ إذًا لاتَّقيتُها	ولكنَّني أرمي بغيرِ سهامِ
إذا ما رآني النَّاس قالوا ألم يكُن	جليدًا شديد البطشِ غير كَهَامِ

فنيتُ ولم تفنى من الدَّهرِ ليلةٌ	ولم يُغْنِ[66] ما أفنيتُ سِلكَ نِظامِ
على الرَّاحتينِ مرَّةً وعلى العَصا	أنوءُ ثلاثًا بعدَهُنَّ قِيَامي

فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة أخو بني جعفر بن كلاب. قال: وما قال؟ قلت: قال:

نفسي تَشَكَّي إليَّ الموت مُجهِشَةً	وقد حَملتُكَ سبعًا بعد سبعينًا
فإن تُزَادي ثلاثًا تُحدِثِي أَمَلًا	وفي الثَّلاثِ وفاءٌ للثَّمانينا

فعاش واللَّه يا أمير المؤمنين حتى بلغ تسعين حجة، فقال:

كأنِّي وقد عِشْتُ تسعين حِجَّة	خلعتُ بها عن مِنكبيَّ رِدائِيَا

---

[66] قلت: هكذا في الأصل ، ويُروى: ولم يفن. والصحيح ما ذكرناه. ويُروى بعد هذا:

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ	وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

فعاش حتى بلغ عشرًا ومئة سنة، فقال في ذلك:

أليسَ في مئة قد عاشَهَا رَجُلٌ	وفي تكامُلِ عَشْرٍ بَعْدَهَا عُمُرُ

فعاش واللَّه يا أمير المؤمنين حتى بلغ عشرين ومئة سنة، فقال في ذلك:

وغنيتُ سَبْتًا بَعْدَ[67] مُجرَى دَاحِسٍ	لو كان لِلنَّفسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ

فعاش حتى بلغ أربعين ومئة سنة، فقال في ذلك:

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولِها	وسُؤالِ هذا النَّاسِ كيفَ لَبيدُ

فقال عبد الملك: واللَّه، ما بي بأس، اقعد حدِّثني ما بينك وبين الليل. فقعدت، فحدَّثته حتى أمسيت، ثم فارقته؛ فمات في ليلته.

---

[67] السبت: الدهر ... ويُروَى سنًّا ، وبدل غنيت: أفنيت.

(61) قال أبو حاتم*: وعاش النَّمر بن تَوْلَبَ بن أُقَيش[68] العُكليُّ مئتي سنة حتى أنكر بعض عقله.

فقال في ذلك:

لعمري لقد أنكرتُ نفسي ورَابني	مع الشَّيبِ أبدالي الَّذي أتبدَّلُ
وتَسميتي شيخًا وقد كان قَبْلُهُ	ليَ اسمٌ فلا أُدْعَى به وهو أوَّلُ
وزُهدي فيكفيني اليسير وإنَّني	أنامُ إذا أُمسي ولا أتعَلَّلُ
وظَلعي ولم أُكسَرْ وإنَّ حَلِيلَتِي	تحوزُ بَنيها في الفِراشِ وأُعزَلُ
فُصُولٌ أراها في أديمي بعد ما	يكون كَفَافَ اللَّحمِ أو هو أجملُ
يُحِبُّ الفتى طول السَّلامةِ والغِنَى	فكيف يَرَى طُولَ السَّلامةِ يفعلُ[69]

[68] في الجمهرة وغيرها: ابن لقيش.

[69] قلت: وفي رواية غير أبي حاتم بعد هذا قوله:

يودُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحةٍ	ينوءُ إذا رامَ القيام فيحمل

قالوا: وعاش نصر بن دُهمان بن بصار بن بَكر بن سُليم بن أشجع بن الرَّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ... مئة وتسعين سنة، حتى سقطت أسنانه وابيَضَّ رأسه، فحزب قومه أمرٌ احتاجوا فيه إلى عقله ورأيه، فدعوا اللَّه أن يَرُدَّ عليه عقله وشبابه، فردَّ اللَّه عليه عقله وشبابه وفهمه، واسودَّ شعره ... فقال سلمة بن الخُرشُب الأنماريُّ، من أنمار بن بُغَيض ... ويقال، بل عياض بن مرداس:

نصرُ بن دُهمانَ الهُنَيدَةَ عاشها	وتسعينَ حولًا ثمَّ قُوِّمَ فانصاتا
وعادَ سوادُ الرَّأسِ بعد ابيضاضِهِ	وراجَعَهُ شَرْخُ الشَّبابِ الَّذي فاتا
وراجَعَ عقلًا بعد عقلٍ وقوَّةٍ	ولكنَّهُ من بعد ذا كلِّه ماتا

(63) قالوا*: وعاش زُهير بن مَرخة[70] من بني وابش بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ... مئة وسبعين سنة. وقال في ذلك:

كبرتُ وأمسَتْ عِظامي رمادًا	وما تأْمُلُ العينُ إلَّا رُقادًا
أقولُ لأهليَ لا تظعنوا	وهاتوا فِراشًا وَطِيئًا وزادَا

(64) قالوا*: وعاش ربيعة، وهو أبو جُعاد من بني عدوان ... مئة وسبعين سنة. وقال في ذلك:

أبا جُعاد اليوم أفناك الكبر	والدَّهر فَينانٌ فَحَرٌّ وخَصَر
أيَّام إذ تَجْنِي لك السَّمن مُضَر	في قَيْسِ عَيْلانَ وإحياءٍ أُخَر

(65) قالوا*: وعاش نابغة بني جَعدة، واسمه: قيس بن عبد اللَّه بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن

---

[70] قلت: مرخة هذه أمه ، وهي بنت أبي معاوية بن الأعزل من بني سيارة.

عامر بن صعصعة ... مئتي سنة، وأدرك الإسلام، وأسلم. وقال حين وَفَتْ له مئة واثنتا عشرة سنة:

مَضَتْ مئة لعامٍ وُلدت فيهِ	وعشرٌ بعد ذَاكَ وحجَّتانِ
فأبقَى الدَّهر والأيَّام منِّي	كما أبقى من السَّيفِ اليَماني
تَفَلَّلَ وهو مأثورٌ جُرَازٌ	إذا جُمِعَتْ بقائِمِهِ اليدانِ
ألا زَعَمَتْ بنو كعبٍ بأنِّي	ألا كَذِبُوا كبيرُ السِّنِّ فاني
فمَنْ يحرص على كِبَرِي فإنِّي	من الفِتيانِ أزمانَ الخُنَانِ[71]

الخنان: مرض أصاب الناس في أنوفهم وحلوقهم، وربما أخذ النَّعَمَ، ورُبما قتل. وقال أيضًا:

لبستُ أناسًا فأفنيتهم	وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسًا

[71] قوله: أزمان الخنان ... الذي في القاموس ... والخنان زكام للإبل كان في عهد المنذر بن ماء السماء ... وقال الأصمعي: كان الخنان داء يأخذ الإبل في مناخرها وتموتُ منه ، فصار ذلك تاريخًا لهم.

ثلاثةُ أهلين أفنيتُهُم	وكانَ الإلهُ هُو المستآسَا

المستآس: المستعِاض، مُستفعل من الأوس، والأوس العطيَّة عِوَضًا ... وقال أيضًا:

قالت أُمامة كم عَمِرتَ زَمانةً	وذَبَحْتَ من عِتْرٍ[72] على الأوثانِ
ولقد شهدتُ عُكَاظَ قبلَ مَحِلِّها	فيها وكنتُ أعدُّ مِلفتيَانِ

أراد: من الفتيان.

والمُنذِرَ بن مُحَرِّقٍ[73] في مُلكِهِ	وشهدت يوم هجائن النُّعمانِ
وعمرتُ حتَّى جاء أحمد بالهدى	وقوارعٍ تُتلى من الفُرقانِ

---

[72] العتر: الذبيحة للصنم ، كانت تعترها الجاهلية ؛ أي تذبحها للأصنام وتصبُّ دمها على رأسها.

[73] في غير الأصل عن أبي حاتم قال: كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني ، والدليل على ذلك قوله:

تذكرتُ والذكرى تهيج لذي الهوى	ومن حاجة المحزون أن يتذكَّرا
نَداماي عند المنذر بن محرق	أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرًا
كهول وفتيان كأن وجوههم	دنانير مما شيفَ في أرضِ قيصرًا

فهذا يدل على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابغة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق.

ولبستُ مِلإسلامٍ ثوبًا واسعًا	من سَيْبِ لا حَرِمٍ ولا مَنَّانِ[74]

(66) قالوا: وعاش قَرَدَةُ بن نُفاثة السَّلوليُّ، من عمرو بن مرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرِمَة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان ... مئة سنة وأربعين سنة، وأدرك الإسلام، وقال في إسلامه:

الحمد للَّه إذ لم يأتِنِي أجلِي	حتَّى لَبِسْتُ من الإسلام سِربالًا
وقد أُرَوِّي نَدِيمي من مُشَعشَعَةٍ	وقد أُقَلِّبُ أوراكًا وأكفالًا[75]

[74] فائدة: أنشد غير أبي حاتم للنابغة هذا ، مما قاله في منتهى عمره أيضًا:

أكلتُ شبابي فأفنيتُهُ	وأمضيتُ بعد دهور دهورًا
ثلاثة أهلين صاحبتهم	فبادوا وأصبحتُ شيخًا كبيرًا
قليل الطعام عسير القيام	وقد ترك الدهر قيدي قصيرًا
أبِيتُ أُراعي نجوم السماء	أُقَلِّبُ أمري بطونًا ظهورًا

[75] قلت: وأنشد له غير أبي حاتم قبل هذين البيتين قوله:

بانَ الشباب فلم أحفل به بالًا	وأقبَلَ الشيبُ والإسلام إقبالًا

قال أبو حاتم: ويزعمون أن البيت الأول للبيد، وأنه لم يقل في الإسلام غيره، واللَّه أعلم.

(67) قالوا*: وعاش زُهيرُ بن أبي سُلمى الشاعر ... وهو زُهير بن ربيعة بن عمرو، ويقال إنه من مَزينة، وكذلك قال ابنه كعب في شعره، ويُقال: إنه من عبد اللَّه بن غطفان ... مئة وعشرين سنة. وقال حين بلغ الثمانين:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ	ثمانينَ حولًا لا أبا لك يَسأمِ

قال أبو حاتم: وكان الأصمعيُّ يزعم أن القصيدة لأَنس بن زُنَيم ... قال أبو روق: غلط أبو حاتم، إنما كان الأصمعي يقول: القصيدة لصِرْمَة بن أبي أنس الأنصاري، وأنس بن

زُنَيم[76] كان على عهد زِياد وابنه ... قال أبو حاتم: ثم قال بعد ذلك:

أَلا ليتَ شِعري هل يرى النَّاسُ ما أرى	منَ الأمرِ أَو يبدو لهم ما بَدَا لِيَا
بَدَا لي أَنِّي عِشْتُ تِسعين حِجَّةً	وعَشْرًا وتِسْعًا بعدها وثمانِيَا
فلم أَلفِهَا لمَّا مَضَتْ وعَدَدْتُها	بِحَسبَتِها في الدَّهرِ إِلَّا لَيالِيا

(68) قالوا*: وعاش ثَوب بن ثُلدة الأسدى، من بني والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ... عشرين ومئتي سنة، وأدرك معاوية بن أبي سفيان، وقال:

وإنَّ امرأً قد عاشَ عشرين حِجَّةً	إلى مئتين كُلُّها هُوَ دَائِبُ
لَرَهنٌ لأحداثِ المنايا وإنَّما	يُلَهِّيهِ في الدنيا مُنَاهُ الكواذِبُ

[76] قلت: يعني بالقصيدة قصيدته الميميَّة المشهورة ، وهذا البيت منها ، ومطلعها: (أمن أم أوفي دمنة لم تَكلم)، وقد وجدتُ بعض المتأخِّرين يحكي أن القصيدة التي ينسبها الأصمعيُّ لصرمة بن أبي أنس الأنصاري هي قوله: (ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى)، القصيدة بطولها.

حدثنا أبو حاتم قال: قال ابن الكلبي: سمعت أبي يقول: أدرك ثوب بن تلدة معاوية، فدخل عليه، فقال: ما أدركتَ؟ وكم عُمرَكَ؟ قال: لا أدري، إلا أني أدركت بني والبة ثلاث مرات — يُريد: أفنيتُ ثلاثة قرون — قال: فكيف بصرك اليوم؟ قال: أحدُّ ما كان قطُّ، كنت أرى الشخص واحدًا فأنا أراه اليوم شخصين. قال: فكيف مشيك؟ قال: أُمشي ما كنت قط، كنت أمشى تَيْدًا، فأنا اليوم أُهرولُ هرولةً. فقال: أأدركتَ أمية بن عبد شمس؟ قال: نعم، وهو أعمى يقوده عبد له يُقال له: ذَكوان. فقال له معاوية: كُفَّ، فقد جاء غير ما رأيت يا ثوب. ثم قال معاوية: ليس في البيت إلا أُمَوِيٌّ، فانظر أيُّ هؤلاء أشبه بأُمَيَّة. فنظر ثم قال: هذا، لعمرو بن سعيد بن العاص، وهو عمرو الأشدق ... قال أبو حاتم: قال العُتْبيُّ: قيل له الأشدق؛ لأنه كان خطيبًا مفِلقًا.

(69) قالوا*: وعاش أُمية بن الأسكر من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة دهرًا طويلًا، وأدرك الإسلام فأسلم، وأسلم ابن له يُقال له: كِلاب، وهاجر إلى المدينة، فخرج في بعث إلى العراق. فلما بلغ ذلك أباه أمية أنشأ يقول:

لِمَنْ شيخانِ قد نشدَا كِلَابًا	كِتابَ اللّهِ لو ذَكَرَ الكتابَا
أُناشِدُهُ ويعرِضُ لي إباءَ	فلا وأبي كِلابٍ ما أُصابَا

إذا هتفتْ حمامةُ بطن وَجٍ	إلى بَيضَاتها ذَكرَا كِلابًا
أتاهُ مُهاجرانِ تكنَّفاهُ	بِتَرْكِ كبيرةٍ خطئا وخابَا
تركتَ أباكَ مُرعشةً يَدَاهُ	وأُمَّكَ ما تسيغُ لها شَرَابًا
تُمَسِّحُ مهده شَفَقًا عليهِ	وتَجْنُبُهُ أبا عَرِنًا الصَّعَابًا
فإنَّك وابتغاءَ الأجرِ بعدِي	كباغي الماءَ يَتَّبعُ السَّرابَا

قال: ومربَّعة كلاب منسوبة إليه، كان نزلها حين قدم البصرة ... وقال أيضًا أُمَيَّة:

أعاذِلَ قد عَذَلْتِ بغير علمٍ	وما يُدريكِ وَيحَكِ ما أُلاقي
فإمَّا كُنتِ عاذِلَتي فرُدِّي	كِلابًا إذ توجَّه للعِرَاقِ
سأستعدي على الفاروقِ رَبًّا	له رفع الحجيجُ إلى بُسَاقِ[77]

[77] البُساق: الارتفاع والعُلُوُّ الباسق المرتفع في عُلُوِّه.

إِنْ الفاروق لم يَرِدُدْ كلابًا	على شيخين هامُهُما زواق[78]
فلو فَلَقَ الفؤادَ حَمَاطُ وَجْدٍ	لَهَمَّ سوادُ قلبي بانفلاقِ

فلما بلغ عمر كبره وشوقه كتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة، يأمره بإقفال كلاب بن أُمية إليه بالمدينة. فلما قدم على عليه قال لأبيه أميَّة: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: النظر إلى ابني كلاب. فدعاه. فلما رآه قام إليه فاعتنقه، وبكى بكاءً شديدًا، وبكى عمر رقة لهما، ثم قال: يا كلابُ، الزم أباك وأمك، ولا تؤثرنَّ عليهما شيئًا ما بقيا.

(70) قالوا*: وعاش قُسٌّ بن ساعدة بن حُذَافَة بن زفر، وقيل حُذافة بن زُهر بن إياد بن نزار[79] ... ثلاثمئة وثمانين

---

[78] هامهما: جمع هامة ، والهامة: طائر من طيور الليل يُقال له: الصدى. قال أبو عُبيدة: أما الهامة ؛ فإن العرب كانت تقول أن عظام الموتى — وقيل أرواحهم — تصير هامة فتطير ، فنفاه الإسلام ونهاهم عنها. والمراد: إلى شيخين موتهما قريب ... ومعنى زواق: أنها تصيح ، وكني عن قرب موتهما بهامهما زواق.

[79] قلت: حكى غير أبي حاتم خلافًا في نسبه ، فقال: هو قس بن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك ... ويُقال: هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن وائلة بن الطَّمثان بن عوذ

سنة، وقد أدرك نبيَّنا عليه (الصلاة و) السلام، وسمع النبي صلى اله عليه وسلم حكمته ... وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكَّأ على عصا، وأول من قال: أما بعد، وكان من حُكماء العرب. وهو أول من كتب: من فلان إلى فلان، وأول من قال في كتابه: أما بعد. زعمت العرب أنه سبط من أسباطها، وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وأحكَمُ من قُسٍّ وأجرأُ مِلَّذِي	بِذِي الغِيلِ مِنْ خفَّان أصبحَ حاردًا[80]

وقال الحطيئة:

وأقولُ مِن قُسٍّ وأمضي إذا مضى	من الرُّمحِ إن مسَّ النُّفوسَ نَكَالُها

وقُسٌّ الذي يقول:

هلِ الغيثُ مُعطي الأمن عند نُزُولِهِ	بِحَالِ مُسيءٍ في الأمورِ ومُحسنِ

مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد ... وخلَّط لويس شيخو اليسوعي ، فصحَّفَ الطمثان بالطمئنان ، ويقدم بتهدم.

[80] الحارد: المتنحِّي عن الناس ... وأكثر الرواة يقولون: خادرًا من الخدر.

وما قد تَوَلَّى فهو قد فاتَ ذاهِبًا	فهل يَنفَعَنِّي ليتني ولو أنَّني

قال أبو حاتم: وذكروا أن وفد بكر بن وائل قَدِمُوا على النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: هل فيكم أحد من إياد؟ قالوا: نعم. قال: ألكم علم بقُسٍّ بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جملٍ أحمر، وهو يقول: أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت. ثم قال: أما بعد، فإن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا، نجوم تغور، وبحار تمور ولا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، أقسم قُسٌّ قسمًا باللَّه وما أثِم، لتطلُبُنَّ من الأمر شحطًا، ولئن كان بعض الأمر رضًا إن للّهِ في بعضه سخطًا، وما بهذا لَعِبًا، وإن من وراء هذا عجبًا، أقسمَ قُسٌّ قسمًا باللَّه وما أثم، إن للّهِ دينًا هو أرضى من دين نحن عليه، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أنَعِمُوا فأقاموا، أو تركوا فناموا ... وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أيضًا: وسمعته لفظ بشعر ولساني لا ينطلق به. فقال بعضهم: أنا أحفظه يا رسول اللَّه، فهل ترى عليَّ فيه شيئًا؟ قال: لا، الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح، فهاتِه ...

وذكروا أنه ابن عباس، فقال وهو يومئذ غلام لم يبلغ،[81] فأنشده:

في الذَّاهبينَ الأوَّليـ	ـن من القرون لنا بصائر
لمَّا رأيتُ مواردًا	للموتِ ليس لها مَصادر
ورأيتُ قومي نحوَها	يَمضِي الأصاغرُ والأكابِر
لا يَرجِعُ الماضي ولا	ينجو من الباقينَ غابر
أيقنتُ أنِّي لا مَحا	لةَ حيثُ صار القومُ صائر

قال أبو حاتم: وذكروا أن قومًا من إياد قدموا على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فسألهم عن حِكمة قُس فأخبروه، وكان أحسن أهل زمانه موعظة، وأنشدوه قوله:

---

[81] قلت: ولفظ البغدادي: على جمل أورق ... إلخ ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، فإني أحفظه ، ولم يقُل ابن عباس.

يا ناعيَ الموتِ والأمواتُ في جَدَثٍ	عليهم من بقايا بَزِّهِم خِرَقُ
دعهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهم	كما يُنَبَّهُ من نَوماتهِ الصَّعِقُ
حتَّى يجيءَ بحالٍ غير حالِهِم	خَلْقٌ مَضوا ثُمَّ ماذا بعدَ ذاك لَقُوا
منهم عُراةٌ وموتى في ثيابِهِمُ	مِنها الجديدُ ومنها الأورقُ الخَلَقُ

قال أبو حاتم: وذَكر حزم بن أبي راشد قال: أملي علىَّ رجل من أهل خُراسان من مواعظ قُس: مطر ونبات، وآباء وأمَّهات، وذاهب وآت في أوانات، وأموات بعد أموات، وضَوء وظلام، وليال وأيام، وغنيٌّ وفقير، وشقيٌّ وسعيد، ومسيءٌ ومحسِن، أين الأرباب العَمَلَة (أو قال الفعلة)، إن لكل عامل عمله، كلَّا، بل هو اللَّه إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدا، وإليه المعاد غدا. أما بعد، يا معشر إياد، فأين ثمود وعاد؟، وأين الآباء والأجداد؟ وأين المعروف الذي لم يُشكَر؟ والظلم الذي لم ينتقم؟ (أو قال: لم يُنكر)، كلَّا ورب الكعبة ليعودَنَّ ما باد، ولئن ذهب يومًا ليعودنَّ يومًا.

(71) قالوا*: وعاش عوَّام أو عرَام بن المنذر بن زُبيد بن قيس بن حارثة بن لأم ... وأدخل على عمر بن عبد العزيز رحمه لِيُزَمَّنُ (أي: يكتب في الزَّمنى)، قالوا: وكان عمَّر في الجاهلية دهرًا طويلًا، فقال له عمر: ما زمانتك هذه؟ فقال فيما زعم ابن الكلبي: أخبرني رجل من بني قيس بن حارثة أنه قال لعمر بن عبد العزيز:

ووالله ما أدري أأدركتُ أمَّةً	على عهدِ ذي القرنين أم كنتُ أقدَمَا
مَتى تنْزِعَا عنِّي القميص تبَيَّنا	جآجئ لم يُكسَيْنَ لحمًا ولا دَمًا

(72) قالوا*: وعاش أنس بن نُواس بن مالك بن حُبيش، ويقال خُنيس بن ربيعة الجَسريُّ، من جَسر محارب، دهرًا طويلًا، ونبتت أسنانه بعد ما سقطت؛ فقال:

أصبحتُ من بعد البُزُولِ رَباعِيًّا	وكيفَ الرَّباعي بعد ما شُقَّ بازلُه
ويُوشك أن يُلفى ثَنيًّا وإن يَعُد	إلى جذعٍ تثكل أخاكم ثَوَاكِله
إذا ما اثَّغرنا مرَّتينِ تقطَّعَتْ	حِبالُ الصِّبَى وانبَتَّ مِنَّا وسائلُه

(73) قالوا: وعاش ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل الأوسيُّ ... فيما ذكر ابن الكلبيِّ عن عبد الحميد بن أبي عبس الأنصاري، عن أشياخ قومه ... ثلاثمئة سنة، وقال غيرهم: مئتي سنة. وقال ثعلبة:

لقد صاحبتُ أقوامًا فأضحَوا	خُفَاتًا ما يُجابُ لهم دُعاءُ
وقومًا بعدهم قد نادموني	فأضحَى مُقفرًا مِنهم قُباءُ
مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخَلَّفوني	فطالَ عليَّ بَعدهُمُ الثَّواءُ
فأصبحتُ الغداةَ رهينَ بيتي	وأخلفني من الموتِ الرَّجاءُ

قال أبو حاتم: وقال هشام: كانت اليهود تسمِّي قباء: قباذًا بالذَّال، فسمَّتْها الأنصار قباء.

(74) قالوا*: وعاشَ طيء بن أُدد ... خمسمئة سنة، وذكر هشام أنه سمع أشياخًا من طيء يذكرون ذلك، وأنه حمل من جَبَلَة باليمن، وكان يُقال له: ظريب، إلى جبلَى طيء، وأقام بهما حينًا، وقتلَ العادي الذي كان بالجبلين. وقال طيء في ذلك:

اجعل ظريبًا كحبيبٍ يُنسَى	لكُلِّ قَومٍ مُصبَحٌ ومُمسِي

وأقام بالجبلين حتى دُفن بهما، وقال فيما سمعت من أشياخهم:

إنَّا من الحيِّ اليمانيِّينا	إن كنتِ عن ذلك تسألينا
فقد ثوينا بظريبٍ حينًا	ثمَّ تفرَّقنا مُباغضينا
لنيَّةٍ كانت لنا شَطُونا	إذ سامَنَا الضَّيمَ بَنُو أُبِينا

(75) قالوا*: وعاش يزيد بن جابر بن حُرثان بن جَزء بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مَرَّان بن جُعفيٍّ ... خمسين ومئة سنة؛ وهو القائل:

أمَّا تَرَيني قد بَليتُ وغاضَنَي	زمانٌ فقد أودى أخو الجودِ حُرثانُ
وأودى أبو جَزْءٍ وعمرو كِلاهما	وعبدُ يغوثٍ قبلَ ذاكَ ومَرَّانُ
وأودى بشيخي ذي المهابة جابرٍ	ونالَ نذيرًا وسط أركاحِ غُمدانِ

غمدان: قصر باليمن. قال الأصمعيُّ: ويقال: لفلان ساحة يتركَّح فيها. ونذير: ملك. وأركاح: أفنية. وفاد فلان: هلك.

فهل أنا إلَّا مِثْلَ من فادَ فاعلمي	ولا تجزعي كلُّ امرئ مَرَّةً فانِ
فلو أنَ حيًّا سالمٌ من سِهامه	لَعَاشَ الأُلي سمَّيتُ ما عاشَ إنسان

(76) قالوا: وعاش هاجر بن عبد العزَّى الخزاعيُّ ... دهرًا فيما ذكر ابن الكلبي عن أبي السائب المخزومي، قال: حدثني به طلحة بن عبيد اللَّه بن كريز الخزاعيُّ ... قال غيره: بل هو عُمَيرة بن هاجر بن عُمَير بن عبد العُزَّى بن قُمَير الخزاعي، وهو جد عبد اللَّه بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عُمَيرة بن هاجر بن عُمَير بن عبد العزَّى بن قُمير الخزاعي ... عاش سبعين ومئة سنة، وقال:

بَلِيْتُ وأفناني الزَّمانُ وأصبحتْ	هُنَيدَةُ قد أنضَيتُ من بعدها عشرًا
وأصبحتُ مثل الفرخ لا أنا مَيِّتٌ	فأُسلَى ولا حَيٌّ فأُصدِرَ لي أمرًا
وقد كنتُ دهرًا أهزمُ الجيشَ واحدًا	وأُعطي فلا مَنًّا عطائي ولا نَزْرًا
وقد عشتُ دهرًا لا تُجِنُّ عشيرتي	لها مَيِّتًا حتَّى أَخُطَّ له قَبرًا

(77) قالوا*: وعاش جليلة بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مَرَان بن جُعفِيٍّ ... تسعين ومئة سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن الوليد بن عبد اللَّه الجعفي، وقال:

وإنَّ امرأً قد عاش تسعين حجَّةً	إلى مئة يرجو الفلاح لجاهلُ
يُؤَمِّلُ أن يبقى وقد مات ذو النَّدى	أبوكَ وأودى ذو الحمالةِ وائلُ
وجارُ الصَّفا والأرقَمَانِ كِلاهما	فكيفَ تُرَجِّي الخُلد أُمُّكَ هابلُ
فلا تَرْجُ عمرًا بعد من فاد إنَّما	بقاؤُكَ في الدُّنيا ليالٍ قلائلُ

(78) قالوا*: وعاش كعب بن رَداة النخعيُّ فيما ذكر ابن الكلبيِّ عن بعض النخعِيين ... ثلاثمئة سنة، وقال:

لقد ملَّني الأدنى وأبغضَ رؤيتي	وأنبأنِي أن لا يحلَّ كلامي
على الرَاحتينِ مرَّةً وعلى العصا	أنوءُ ثلاثًا بَعدَهُنَّ قِيَامي
فيا ليتني قد سِخْتُ في الأرضِ قامةً	وليتَ طعامي كانَ فيه حِمَامِي

(79) قالوا*: وعاش عبد يغوث بن كعب بن الرَّداة بن ذُهل بن كعب بن قُعَين بن مالك بن النَّخع بن عمرو بن علة بن جلد بن أُدَد بن مالك بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبا ... سبعين ومئة سنة. وقال في ذلك:

بَليتُ وقد كنتُ دهرًا جديدًا	وقد عِشْتُ دَهرًا أبيًّا جليدًا
أبعدَ ثمانين أنضيتُها	وتسعين يا سَلْمَ أرجو الخُلودَا
وماتَ أبي وأبو والدي	وذُهْلٌ فأصبحتُ منهم وحيدًا

(80) قالوا: وعاش رجل من أسلم ... ويُقال: هو أوس بن ربيعة بن كعب بن أُميَّة الأسلميُّ ... مئتي سنة وأربع عشرة سنة. وقال في ذلك:

لقد عُمِّرْتُ حتَّى ملَّ أهلي	ثَوَائي عندهم وسئمت عمري
وحُقَّ لمن أتت مئتان عامًا	عليه وأربعٌ من بعدِ عشرِ
يَمَلُّ من الثَّواءِ وصُبحُ يومٍ	يُغاديهِ وليلٌ بعد يَسرِي
فأبلَى جِدَّتي وبَقِيْتُ شِلوًا	وباحَ بما أُجِنُّ ضميرُ صدري

(81) قالوا*: وعاش حارثة بن عُبيد الكلبيُّ ... ومن ولده بطون منظور، ومنصور ابن جمهور من بني حارثة، وأدرك الإسلام، وقد حُجِبَ[82] دهرًا طويلًا ... قال أبو حاتم: قال: وكذا

---

[82] قوله: وقد حُجِب أي مُنِع من أن يرى الناس أو يروه خوفًا من أن تبدُرَ منه بادرةَ كلام فيؤخَذُ عليهم بذلك ... وقد ذكر أبو حاتم في غير كتابه هذا قال: وحدثنا الثِّقة عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عُمير اللخمي ... قال: جاء أبو جهم بن حذيفة العدويُّ (وهو أحد الأربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب)، وهو يومئذٍ ابن مئة سنة إلى مجلسٍ لقريش فأوسعوا له عن صدر المجلس: وقائل يقول: بل كان عروة بن الزبير. فقال أبو الجهم: يا بني أخي، أنتم خير لكبيرهم من مَهَرَة لكبيرهم ... قالوا: وما شأن مهرة وكبيرهم؟ قال:

كانت العرب تفعل بالكبير منهم تحجبُه ... قال هشام: وقال لي شَملة بن مُغيث، رجل من ولده، قال: أظنه قال عاش خمسمئة سنة، قال: وأنشدني شملة له:

ألا ليتني أنضَيتُ عُمري	وهل يُجدى عليَّ اليوم لَيتي
حَنَتْنَي حانياتُ الدَّهرِ حتَّى	بقيتُ رَذِيَّةً في قَعْرِ بَيتي
تأذَّى بي الأقاربُ إذ رأوني	بقيتُ وأينَ منِّي اليومَ مَوتي

(82) قالوا*: وعاش حارثة بن مُرَّة بن حارثة بن عبد رُضا بن جُبَيل الكلبي ... خمسين ومئة سنة، وأصابتهم سنة أجحفَتْ بأموالهم، فقال:

كان الرجل منهم إذا أسنَّ وضعف أتاه ابنه أو وليُّهُ فعقله بعقال ، ثم قال: قُم. فإن استتمَّ قائمًا ، وإلَّا حمله إلى مجلس لهم يجري على أحدهم فيه رزقه حتى يموت ، فجاء شابٌّ منهم إلى أبيه ، ففعل ذلك به ، فلم يستتمُّ قائمًا ، فحمله ، فقال: يا بُنيَّ ، أين تذهب بي ؟ فقال: إلى سُنَّةِ آبائك. فقال: يا بُني ، لا تفعل ، فوالله لقد كنتَ تمشي خلفي فما أخلِّفُك ، وأماشيك فما أَبْذُّكَ (أي: أسبقك) ، وأسقيك الدُّواية (أي: اللبن) ، قائمًا. كانت العرب تقول: إذا أُسقِيَ الغلام اللبن قائمًا كان أسرع لشبابه. فقال: لا جرم ، لا أذهب بك. فاتخذته مهرة سُنَّة.

لم يدَع الدَّهرُ لنا ذَخيرة	ولم يدَع شَحمًا ولا مَريرة
ولا لنا حامٍ ولا بَحيرَة	وشَيَّبَ العارضَ والغَديرة
فصِرتُ كالنَّسرِ على الجذيرة	بُراضةً من عُمُرٍ يَسيرة

الجذيرة: أصل حائط أو بناء، وجذر كل شيء: أصله.
براضة: بقيَّة: ويُقَال تبرَّضتُ الماء وغيره: إذا أخذت بقيَّته.

(83) قالوا*: وعاش المسجاحُ[83] بن خالد بن الحارث بن قيس بن نصر بن عائذة ابن ذُهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَة ... حتى هَرِمَ وملَّ الحياة، وزعموا أنه قال:

لقد طَوَّفتُ في الآفاقِ حتَّى	بَلَيتُ وقد أُنى لي لو أُبيدُ
وأفناني وما يفنى نهارٌ	وليلٌ كلَّما يمضي يَعودُ
وشَهرٌ مُستهَلٌّ بعدَ شهرٍ	وحولٌ بعدَهُ حولٌ جديدُ

[83] قلت: سماه المرزباني: المسحاج ، وإنه من المعمرين.

ومفقودٌ عزيزُ الفقدِ تأتي	مَنِيَّتهُ ومأمولٌ وليدُ

(84) قالوا*: وعاش القُدَار العنزي ... مئتي سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن خراش، قال: حدَّثني به قوم من عَنَزَة، قال:

رُبَّ حيٍّ رأيتهم ورأوني	ثم قالوا متى يموتُ قُدَارُ
رُبَّ نهبٍ حَوَيْتُهُ مَلَثَ اللَّيـ	ـلِ ظَلَامًا تُزَيِّنه الأبكارُ
وجِيادٍ كأنَّها قُضُبُ الشَّو	حَطِ تُزجَى أمَامهُنَّ العِشَارُ
ذاك دهرٌ أفنيتُهُ وتعرَّتـ	ـني ليالٌ يُنضيئني ونهارُ

(85) قالوا*: وعاش ربيعة بن عبد اللَّه البجلي ... تسعين ومئة سنة ... قال أبو حاتم: قال ابن الكلبيِّ: حدثني به عُلَيل بن محمد البجليُّ، وقال:

أُمَيْمَ أُميم قَدْ أودى شَبَابي	وأخلَفَنِي البطالةُ والتَّصابي
وقد ذهبَ الذين وُلدتُ فيهم	وقد رَحَلَتْ لِشُقَّتهم رِكابي
وسلهبةٍ وهبتُ لغيرِ صهرٍ	فلم أبكر أُميمَ على الثَّوابِ

(85) قالوا*: وعاش الحارث بن حبيب الباهلي، من بني أود بن معن ... [84] ستين ومئة سنة فيما ذكر هشام عن طارق بن حمزة الغنويُّ عن رجل من باهلة كان عالمًا. وقال الحارث:

كم من أسيرٍ تائهٍ فديتُهُ	ومن كميٍ مُعلِمٍ أردَيته
ومُسرِعٍ بسروهِ جازيتُه	ومُبطئٌ برفده كفيتُه
ومُعلنٍ بضِغنِهِ كَوَيتُهُ	لو كان يُشري الموتُ لاشتريتُه

وقال الحارث:

ألا هَلْ شباب يُشتَرَى برغيبِ	يُدَلُّ عليه الحارثُ بن حبيبِ
فمن لاسوداد الرأس بعد ابيضاضه	ومَنْ لِقوامِ الصُّلبِ بعدَ دبيبِ

(86) قالوا*: وعاش حامل بن حارثة بن عمرو بن مالك بن عُكوة ... ثلاثين ومئتي سنة ... قال: حدثنا شيخ من بني

---

[84] قلت: قال المرزباني في معجم الشعراء ... هو الحارث بن حبيب بن كعب بن أود بن معن بن مالك بن أعصر ، جاهليٌّ قديم ، ذكره ابن أبي طاهر.

عُكوَة من طيء، وكان حامل يرحل إلى الملوك في قومه، فقال حين بلغ ثمانين ومئة سنة:

ألا ليتني لم أغنَ في النَّاسِ ساعةً	ولم ألقَ أيَّامًا تُشِيبُ الحَزَوَّرَا
أبعدَ الأُلي من آل عِكوَةَ قُدِّموا	كِرامًا وأصبحتُ الغداةَ مُؤخَّرًا
أُرجِي خلودًا بعد تسعين حِجَّةً	تسعين أخرى لا سُقيت الكَنَهْوَرَا

الكَنَهْوَر: سحابة[85].

(87) قالوا*: وعاش عمرو بن مُسبَّح الطائي، ثم أحد بني معن — فيما زعموا — حتى أدرك النبي صلى اللَّه عليه وسلم وهو ابن خمسين ومئة سنة، وله يقول امرؤ القيس:

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلِ	مُتْلجٍ كَفَّيهِ من قُتَرِه

[85] قلت: قال غير أبي حاتم: الكنهور السحاب المتكاثر، أُخِذَ من الكهر، وذلك غِلظ الوجه، والنون والواو فيه زائدتان.

ومات في زمن عُثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، وهو القائل:

لقد عُمِّرتُ حتَّى شفَّ عُمري	على عُمْرِ ابن عُكوةَ وابنِ وهبِ
وعُمرِ الحنظلي وعُمرِ سيفٍ	وَعُمرِ بن الرَّداةِ قريع كَعْبِ

(88) قالوا*: وعاش عبَّاد بن سعيد، أو سعيد بن أحمر بن ثور بن خِداش بن السَّكسَك بن أُشرس بن كندة ثلاثمئة ستة فيما زعم ابن الكلبيِّ عن فروة بن سعيد الكندي، وقال:

بَليتُ وأفنتْنِي السنونَ وأصبحَتْ	لِدَاتي نجومُ اللَيل والقمرُ والبدرُ
ثلاثُ مئينٍ قد مررن كواملًا	فيا ليتني ثَورٌ لِمَا صَنَعَ الدَّهرُ

(89) قالوا*: وعاش عوف بن الأدرم بن غالب[86] ... دهرًا طويلًا، ثم أدرك الفِجَار وبعد ذلك، فيما زعم معروف بن الخُرَّبوذ، وقال:

أودَى الشَّباب وحبُّ الطَّلَّة الخَلَبَة	وقد برِئتُ فما في الصدرِ من قَلَبَة
وقد تَفَلَّلَ أنيابي وأدركني	قِرنٌ عليَّ شديدٌ فاحشُ العَلَبَة
وقد رماني برُكنٍ لا كِفَاءَ لهُ	في المِنكَبَيْنِ وفي الرجلينِ والرَّقبة

قال أبو حاتم: هذا الشعر للنَّمر بن تولب، أنشدنا الأصمعي:

أُودى الشَّبابُ وحبُّ الخالةِ الخَلَبَة

والخالة: قوم ذوَو خُيَلَاء، قال الأصمعي:

وقد رَمَى بسَرَاهُ اليومَ مُعتمِدًا	في المَنكبينِ وفي الساقينِ والرَّقبة

[86] قلت: قال غير أبي حاتم: ليس للأدرم ولد من عوف ، إنما ولد الأدرم عوف ابن دهر بن تيّم بن غالب ، وهو شاعر.

السَّري: جمع سِروة، وهو سهم صغير.

(90) قالوا*: وعاش الحارث بن التَّوأم اليشكريُّ ... دهرًا في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام ولا يعقل، فقال فيما زعم الكلبيُّ عن خِرَاش:

زعمت ثمُامةُ أنَّني قد سُؤتُها	ولقد أنَى لي أن أسوءَ وأكبرا
إنَّ الكبير إذا يُشافُ رأيتهُ	مُقرَنْشِعًا وإذا يُهانُ استزمَرَا
وإذا ترَحَّلَ في الرَّعيَّةِ خِلتهُ	كَسِلًا وعزَّ عليه أن يتعذَّرا
وإذا تراءَى القومُ شُخْصًا خالَهُ	شخصين ثُمَّتَ لم يكن هو أبصرا
ولقد رأيتُ أباكَ وهو وليُّهُ	وأباهُ شيخًا من بُنائهَ أعسرَا
يَدعو ببردِ الماءِ وهو قُصارُهُ	فإذا سَقَوهُ الماءَ مَجَّ وغرغرَا

قال: رأى أباها وهو صغير، ثم عُمِّر بعد ... وقوله: يُشاف: يُزيَّنُ. مُقرَنشع: نشيط حسن الهيئة. وإذا يُهان استزمَرا: أي تَقبَض، والزمر: الشعر القليل.

(91) قالوا*: وعاش الجَرَنفَش بن عبدة الطائي ... ثلاثين ومئة سنة، وقال:

إما ترَيني لا أُعينُ على النَّدى	ولا أنصُرُ المولى كما كنتُ أفعلُ
وأصبحتُ أعمى قاعدًا متوكلًا	على اللَّه إنَّ المؤمنَ المتوكِّلُ

فحقٌّ امرئٍ قد سار حتَّى تخرَّمَتْ	هُنَيدَةُ حقًّا أن يُنيخُ بمنزلِ[87]

(92) قالوا*: وعاش سَعنة بن سلامة بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب حتى كبر واختلط عقله، فترك الغزو بهم، وكان يظعن معه قومه إذا ظعن، ويقيمون إذا أقام. فقال يذكر ما كان يصنع قومه:

لقد عَمِرْتُ زمانًا ما يُخالفني	قومي إذا قُلتُ جِدُّوا سَيرَكم ساروا
وإن أردتُ مقامًا قال قائلهم	يا سَعْنَةَ الخيرِ قد قَرَّتْ بنا الدَّارُ
فإن بَليتُ فقد طَالَتْ سلامَتُنا	والدَّهرُ قِدمًا له صَرْفٌ وإمرارُ

(93) قالوا*: وعاش سنان بن وهب بن تيم الأدرم بن غالب بن فهر ... دهرًا طويلًا فيما ذكروا عن معروف بن الخُرَّبوذ، وأنشأ يقول:

---

[87] قلت: وهكذا رواه غيره أيضًا ، وقد أقوى فيه ، والإقواء كثير في شعر العرب.

لقد عُمِّرتُ حتَّى صِرتُ كَلًّا	مُقيمًا لا أحُلُّ ولا أسيرُ
وكيفَ بمن أتت مئتان عامًا	عليه أن يكونَ له نكيرُ
فإن يكن الشَّبابُ مضى حَميدًا	وشَيَّبَ لِمَّتي الدَّهر الخَثُورُ
عَمِرتُ ببلدَحٍ[88] عُمْرًا طويلًا	ولَيْسَ ببلدح إلا الصخورُ
تأذَّى بي الأقاربُ بعد أُنسٍ	كأنِّي فيهم فَرِخٌ شَحِيرُ
فلم أكُ نأنأ يا أُمَّ عَمرٍو	إذا نَزِلَتْ بساحَتِي الأمورُ

(94) قالوا*: وعاش المِجزَم بن بكر بن عمرو بن عوف بن عباد بن الحارث بن سامة بن لؤي ... دهرًا طويلًا، وكان من دعاميص العرب، أي: يهتدي للأمور الخفية الدقيقة ويحتال لها. وقال باعث بن حويص بن زيد بن عمرو الطائيُّ:

ألا ليتني عُمرتُ يا أُمَّ حشرجٍ	كعمرِ أخي نجران أو عُمرِ مجزمِ

[88] بلدح: مكان في طريق النعيم.

لقد عُمِّرا دهريهما في ربيلة	وفي ظل عيش من لبوس ومطعم
وأفناهما دهر طويل فأصبحنا	أحاديث طسم أو أحاديث جُرهُم

(95) حدثنا أبو حاتم قال: وذكر ابن الكلبي عن رجل من قريش قال: كان رجل من بني عُذرة قد طال عمره حتى كبر ابن ابنة له، وكان عالمًا بقومه، وكان يُغشى للطعام والعلم؛ فشكا الدهر وتصرُّفه، فقال له ابن ابنته: كم أتى لك يا جدُّ؟ قال: لا أحُق ذاك يا بني، ولكن عققت عن أبيك وأنا ابن ثلاث وتسعين، وعاش أبوك خمسًا وثمانين، وقد مات منذ ثمانين. فقال: لقد شكوت الدهر وما كان ينبغي لك أن تشكوه وقد بلغتَ هذا السن، وأنشأ ابن ابنته يقول:

إن تكُ قد بَلَيتَ فبعدَ قومٍ	طِوَالَ العُمر قد بادُوا بَقِيتا
فزادكَ في حياتِكَ لا تُضعهُ	كأنَّكَ عند موتِكَ قد أُتِيتا
فإنَّك إن خُلقِتْ عبدًا	إلى أجلٍ تجيبُ إذا دُعيتا
مُقَدَّرةٍ بعيشتك الليالي	إذا وُفِّيتَ عِدَّتها فَنِيتا
كأنَّك والخطوبُ لها سِهامٌ	مُقَدَّرَةٌ بِسهمِكَ قد رُميتا

(96) أخبرنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهِزَّاني ... قال: أخبرنا أبو حاتم قال: قال هشام: حدثنا بكار بن نافع

اللؤلؤيُّ قال، قال نصر بن الحجَّاج بن عِلاط السُّلميُّ لمعاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنه:

إذا مُتَّ ماتَ الجودُ وانقطعَ النَّدى	مِن النَّاسِ إلا مِن قليلٍ مُصَرَّدِ
وجفَّتْ أكُفُّ السائلين وأمسكوا	من الدِّينِ والدُّنيا بخلفٍ مُجدَّدِ

فلمَّا سمع معاوية الشعر قال لابنة قرَظة وهي تبكي: اسمعي إلى مرثيَّتي وأنا حيٌّ.

(97) قالوا*: وعاش صَرْمُ (ويُقال صَومُ) بن مالك الحضرميُّ قريبًا من ... مئتي سنة فيما ذكروا عن سعيد بن عبد الجبار بن وائل الحضرمي. وقال:

إن أُمسِ كَلًّا لا أُطاعُ فربما	سُقْتُ الكتائبَ مَشرقًا أو مغرِبًا
ولرُبَّ كبشِ كتيبةٍ لا قيثُهُ	فطعنتُهُ حتَّى أُواري الثَّعلبَا[89]

[89] الثعلب: طرف الرمح الداخل في جبة السنان منه ؛ أي قصبته.

أجرَته رُمحي فَخَرَّ لوجهه	ما إن يُجيب إذا دَعا المُستصحبا
في فِتيةٍ من حَضرَ مَوتَ أعزَّةٍ	لا يَنكلون إذا المنادي ثَوَّبَا

(98) قال أبو حاتم ... قال خالد بن سعيد عن أبيه قال: دخل أدهم بن مُحرز الباهليُّ أبو مالك بن أدهم على عبد الملك ورأسه كالثَّغامة، فقال: لو غيَّرت هذا الشَّيب. فذهب فاختضبَ بسواد، ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ بيتًا لم أقُل بيتًا قبله، ولا أراني أقول بعده، قال: هات، فأنشأ يقول:

ولمَّا رأيتُ الشَّيبَ شِيبًا لأهلِهِ	تَفَتَّيتُ وابتعْتُ الشَّبابَ بِدِرهَمِ

(99) قال أبو حاتم: وذكروا عن أبي مسكين قال: عُمِّرَ رجل من بَلِيٍّ يُقال له النعمان، دهرًا ... فقال:

تهدَّلتِ العينانِ بعدَ طلاوةٍ	وبعدَ رِضًا فأحسِبُ الشَّخصَ راكبًا
وأُبعِدُ ما أنكرتُ كي أستبينَهُ	فأعرِفُهُ وأنكِرُ المُتقَاربَا

(100) حدثنا أبو حاتم ... قال: قال هشام: وأخبرني غير واحد من تميم قالوا: كانت الإتاوة من مُضَر في الكُبْرِ

والقُعدُد[90] في النسب، فصارت إلى بني عمرو بن تميم، فوَليها ربيعة بن عُزَيُ بن بُزَيٍّ الأُسَيِّدِيُّ حتى جبا إتاوة مضر، فطال عمره، وهو أبو الحفَاد، وهو القائل:

يا أبا الحفَّاد أفناك الكبر

والإتاوة: خراج كان عليهم.

(101) قال: وقال أبو الحسن المدائني، أنشدني أبو الشَّمَّاخ بن الشِّمراخ الطائيُّ:

ما بالُ شيخ قد تَخدَّدَ لحمه	أُبلَى ثلاثَ عمائمٍ ألوَانَا
سوداءَ داجيةً وسَحْقَ مُفَوِّفٍ	وأجَدَّ لونًا بعد ذاك هِجانا
ثمَّ المماتُ وراء ذلك كُلِّه	وكأنَّما يُعنَي بذَاك سِوَانَا

[90] قوله: الكبر والقعدد ... الكبر: الرفعة ، والقعدد: بضم الأول والثالث ، وبضم الأول وفتح الثالث قريب الآباء من الجد الأكبر.

قال: وكانت العمامة تُلبس أربعين سنة، فكأنه عاش عشرين ومئة سنة ... قال آخرون: إنما عني أنه كان شابًّا، وذلك قوله: سوداء داجية، ثم أخلس وابيَضَّ بعض رأسه ولحيته، وذلك قوله: وسَحْقَ مُفَوَفٍ، ثم عاد رأسه كأنه ثغامة، فذلك قوله:

وأجد لونًا بعد ذاك هِجَانًا. والهجان: البياض.

(102) وزعم ... العُمَريُّ عن عطاء بن مصعب قال: حدثني عبيد بن أبان النُّميري قال: قدم فَضالة بن زيد العَدوانيُّ على معاوية، فقال له معاوية: كيف أنت والنِّساء يا فضالة؟ قال: يا أمير المؤمنين:

لا باهَ لي إلَّا المُنَى وأخو المُنى	جَديرٌ بأن يُلحَى ابن حَربٍ ويُشتَما

الرواية: ولا قمط لي. والقمط: الجماع. ومن قال باهَ فقد أخطأ؛ لأن الباءة ممدودة، وهي تاء في الإدراج.

وفيمَ تَصابى الشَّيخ والدَّهر دائبٌ	بِمبرَاتِهِ يلحو عروقًا وأعظُمًا

رمتني صُروفُ الدَّهرِ حتَّى تَرَكنني	أَجَبَّ السَّنامِ بعدما كنتُ أيهما[91]
فخِلتُ سهول الأرض وعثًا ووعثَهَا	سهولًا وقد أُجرِرْتُ أن أتكلَّما[92]
وكان سليطا مقولي متناذرا	شذاه، فصرت اليوم ملعيٍّ أبكما
كذلك ريب الدَّهر يترك سهمه	أخا العزِّ والأدِّ الذَّليل المذمَّما

الأد: الأيِّد ذو القوة.

وحربٍ يَحيدُ القومُ عن لَهَبَاتها	شهدتُ فكنتُ المستشارَ المُقَدَّمَا
توسَّطتُها بالسَّيفِ إذ هاب حَميَها الـ	ـكُماة فلم يَغشوا من الحربِ مُعظمَا
فلمَّا رأيتُ الموتَ ألقى بَعَاعَهُ	عليَّ تعمَّدتُ امرأً كان مُعلمًا
فيمَّمتُ سيفي رأسَهُ وتركتُهُ	يَهِرُّ عليهِ الذِّئبُ أفضحَ قَشْعَمَا
نَفِدْتُ فما لي حيلةٌ غيرَ أنَّني	أجودُ إذا سيلَ البخيلُ فَهَمْهَمَا

---

[91] الأيهم: الجمل الصَّؤل ... قال ابن السكيت: الأيهمان عند أهل البادية: السيل والجمل الصؤل: الهائج ، وعند أهل الأمصار: السيل والحريق.

[92] قوله أجررتُ: من قولهم مجازًا أجر لسانه إذا منعه الكلام مأخوذ من أجرار الفصيل ، وهو أن يشق لسانه ويشد عليه عود لئلَّا يرتضع.

وأبذُلُ عفوًا ما ملكتُ تكرُّمًا	وأجْبُرُ في اللَّأوآءِ كَلًّا ومُعدِمَا

فقال له معاوية: كم أتت لك من سنة يا فضالة؟ قال: عشرون ومئة سنة. قال: فأيُّ الأشياء بك منذ كنت بها أسَرُّ، وأيُّ شيء بوقوعه كنتَ أشدُّ اكتئابًا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم يقطع الظَّهر قطع الولد شيء، ولا دفع البلاء والمصائب مثل إفادة المال، واللَّه يا أمير المؤمنين إن المال ليقع من القلب موقعًا ما يقعه شيء، وإن الولد الصالح ليمثل منزلة المال، ولكن للمال فضيلة عليه، وإن كان طلب المال إنما يجمعه لولده، فإنه آثر عنده منه؛ لأنه قد يمنعه المال إذا طلبه منه، وإن كان يُثَمِّرُهُ له فهو أحلى متاع الدنيا عند أهل الدنيا ... قال معاوية: ليس كل أحد على رأيك، للمال حال، والولد حبَّة القلب ووتد النفس، وقُطبة العيش، لا خير في المال لمن لا ولد له إلا أن يكون مالًا يُنفقه في سبيل اللَّه ... فقال فضالة: يا أمير المؤمنين:

وما العيشُ إلَّا المال فاحفظ فُضُولَه	ولا تُهلِكَنه في الضَّلال فتندمِ
فإنِّي وجدت المال عِزًّا إذا اتَّقَتْ	عليك ظِلَال الحربِ ثرهم بالدَّمِ
إذا جَلَّ خَطْبٌ صُلْتَ بالمالِ حَيثُما	تَوَجَّهتَ من أرضي فصيح وأعجَمِ
وهابَكَ أقوامٌ وإن لم تُصِبْهُمُ	بِنفعٍ ومن يَستَغْنِ يُحمَدْ ويُكَرِم
وتُعطي الَّذي يَبغي وإن كان باخلًا	بما في يديه من متاعٍ ودِرهمِ

وفي الفقرِ ذُلٌّ للرِّقاب وقلَّ ما	رأيتُ فقيرًا غيرَ نكسٍ مُذَمَّمِ
يُلامُ وإن كان الصَّوابُ بكفِّهِ	ويُحمَدُ آلاءُ البخيلِ المُدَرهَمِ
كذلك هذا الدَّهرُ يرفعُ ذا الغنى	بلا كرمٍ منه ولا بِتَحَلُّمِ
ولكن بما حازَتْ يداه من الغِنَى	يَصيرُ أميرًا للَّئيمِ المُلطَّمِ

فقال معاوية: قاتل اللَّه أخا بني أُسَيِّد حين يقول:

بني أمِّ ذي المالِ الكثيرِ يرُونه	وإن كان عبدًا سيِّدَ الأمرِ جَحفَلًا
وهم لِمُقِلِ المال أولادُ عِلَّةٍ	وإن كان محضًا في العمومةِ مُخولًا

(103) حدثنا أبو حاتم ... قال: وذكر العمريُّ قال: حدثني عطاء بن مصعب عن الزِّبرقان: قال عطاء سمعته أنا وخلف الأحمر منه، قال، دخل خِنَّابة بن كعب العبشمي على معاوية حين أتَّسقَ له الأمر ببيعة يزيد ابنه، وقد أتت لخنَّابة يومئذٍ أربعون ومئة سنة ... فقال له معاوية: يا خنَّابة، كيف نفسك اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمتَعَنِي اللَّه بك:

عليَّ لسانٌ صارمٌ إن هززتُهُ	ورُكني ضعيفٌ والفؤادُ مُوَفَّرُ
كبِرْتُ وأفني الدَّهر حولي وقوَّتي	فلم يبقَ إلَّا منطقٌ ليس يَهذِرُ

وبين الحَشَى قلبٌ كمِيٌّ مُهَذَّبٌ	متى ما يرى اليوم العشنزر يَصبرُ[93]
أهمُّ بأشياء كثير فتعتقي	مشيَّة نفس، إنَّها ليس تقدر
تلعَّبت الأيَّام بي فتركنني	أجبُّ السَّنام حائرًا حين أنظر
أرى الشَّخص كالشَّخصين والشَّيخ مولع	بقول أرى واللَّه ما ليس يبصر

وقال خِنَّابة لابنيه حين كبر وحالَا بينه وبين ماله:

ما أنا إن أحسنتُما بي وخُلْتُمَا	عنِ العهدِ بالغِرِّ الصَّغيرِ فأخدَعُ
جريتُ من الغاياتِ تسعينَ حِجَّةً	وخمسينَ حتَّى قيلَ أنت المُقَزَّعُ

المقزَّع: المسوَّد.

(104) حدثنا أبو حاتم ... قال: قال الكلبيُّ: أخبرنا كعب الأسديُّ، وكان معنا بخراسان، قال: أخبرنا مروان بن الحكم قال، أُتي كعب بن ربيعة في منامه، فقيل له: كَبُرَ سنُّك، ورقَ عظمك، وحضر أجلك، فقُل لولدك فليتمنُّوا، فإنهم سيُعطون

---

[93] العشنزر: كسفرجل ... الشديد الخلق من كل شيء ، وهي بهاء.

أمانيهم. فجمعهم، فقال: تمنُّوا، فلكلِّ امرئٍ منكم أُمنيته. فقال الحريش: أتمَّنى النَّعظ. قال: فهُم أنكح بني عامر. وقال لقشير: تمنَّه. فقال: البقاء والجمال، فهم أجمل بني عامر، وأطولهم أعمارًا، كان منهم ذو الرُّقَيبة، كان في الجاهلية رجلًا، ثم أدرك معاوية، ومعه ألف ظَعينة تقول هذه يا أبتاه، وهذه يا جدَاه، وهذه يا عمَّاه، ومنهم حيدَة، أدرك الجاهلية، ثم أدرك بشر بن مروان، أو زمن أسد بن عبد اللَّه بخراسان وهو عم ألف رجل وامرأة. ثم قال لجعدة: تمنَّه. فقال: اللبن والتَّمر، فهم أكثر بني عامر لبنًا وتمرًا. ثم قال لعقيل: تمنَّه. فقال: الإبل، فهم أكثر بني عامر لبنًا وإبلًا، ويُقال، بل تمنَّى عقيل العدد والشِّدة، فليس في بني كعب بطن أشدُّ ولا أعدُّ من بني عقيل. ثم قال لحبيب: تمنَّه. قال: المحبَّة من أخوتي، فكل بني كعب يتعطَّف عليهم.

(105) قالوا: وعاش أبو زبيد الطائي، وهو المنذر بن حرملة من بني حيَة ... خمسين ومئة سنة، وكان نصرانيًّا بالرقَّة فيما حدَّث به الكلبيُّ عن أبي محمد المُرهِبيُ، وكان يجعل له في كل أحد طعام كثير، ويهيَّأ له شراب كثير، ويذهب أصحابه يتفرَّقون في البيعة، ويحملنه النساء فيضعنه في ذلك المجلس، فجعل له طعام في أحد من تلك الآحاد، وقدِّمت أباريقه وحملنه النساء، فجاءَه الموت، فقال:

إذا جُعلَ المرءُ الَّذي كان حازمًا	يُحَلُّ به حَلُّ الحوارِ ويُحملُ
فليسَ له في العيشِ خيرٌ يريدُهُ	وتكفِينهُ مَيتًا أعَفُّ وأجمَلُ
أتاني رسولُ الموت يا مرحبًا به	لآتيهُ وسوفَ واللّهِ أفعلُ

ثم مات، فجاءه أصحابه، فوجوده ميِّتًا.

(106) قالوا*: وعاش الأغلب العجليُّ عمرًا طويلًا، وقال:

إنَّ اللَّيالي أسرَعَتْ في نَقضِي	أخذنَ بَعضي وتَرَكنَ بَعضِي[94]
حَنَيْنَ طُولي وحَنَيْنَ عَرضِي	أقعَدنَنِي من بَعْدِ طُولِ نَهضِي

(107) قالوا*: وقال أبو عامر، رجل من أهل المدينة عن رجل من أهل البصرة ... قال أبو حاتم، وحدَثَ به أبو الجنيد الضرير عن أشياخه قال: قال معاوية، إني لأُحبُّ أن ألقَى رجلًا

---

[94] وفي غير الأصل يُروى:

طول الليالي أسرعت في نقضي	نقضن كلي ونقضن بعضي

وهذه الرواية يستشهد بها النُّحاة في باب الإضافة ، والشاهد منها ... قوله: أسرعت ، فإنها خبر عن المذكر ، وهو قوله (طول الليالي) ، والقياس أسرع ، ولكن المبتدأ اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، فلذلك أُنِّثَ الخبر.

قد أتت عليه سن، وقد رأى الناس يخبرنا عما رأى. فقال بعض جلسائه: ذاك رجل بحضرموت. فأرسل إليه، فأتى به، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد. قال: ابن من؟ قال: ابن أبد. قال: ما أتى عليك من السنِّ؟ قال: ستون وثلاثمئة سنة. قال: كذبت. قال: ثم إن معاوية تشاغل عنه، ثم أقبل عليه، فقال: ما اسمك؟ قال: أمد. قال: ابن من؟ قال: ابن أبد. قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ثلاثمئة وستون. قال: فأخبِرنَا عما رأيتَ من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟ قال: وكيف تسأل من تُكَذِّب؟ قال: إني ما كذَّبتك، ولكنني أحببت أن أعلم كيف عقلك. قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميتٌ، ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يُولد لم يبقَ أحد على وجه الأرض. قال: فأخبرني هل رأيت هاشمًا؟ قال: نعم، رأيته، طُوالًا، حسن الوجه، يُقال إن بين عينيه بركة، أو غرَّة بركة. قال: فهل رأيت أُمَيَّة؟ قال: نعم، رأيته، رجلًا قصيرًا أعمى، يُقال إن في وجهه لشرًّا أو شُؤمًا. قال: أفرأيتَ محمدًا عليه الصلاة والسلام؟ قال: ومن محمد؟ قال: رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. قال: ويحك، أفلا فخَّمت كما فخَّمه اللَّه تعالى فقلت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. قال: فأخبرني، ما كان صناعتك؟ قال: كنت رجلًا تاجرًا. قال: فما بلغَتْ تجارتك؟ قال: كنت لا أشتري عَيْبًا، ولا أردُّ ربحًا.

قال معاوية: سلني. قال: أسالك أن تدخلني الجنة. قال: ليس ذاك بيدي، ولا أقدر عليه. قال: فأسألك أن تردَّ عليَّ شبابي. قال: ليس ذاك بيدي ولا أقدر عليه. قال: لا أرى بيدك شيئًا من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، فرُدَّني من حيث جئت بي. قال: أمَّا هذه فنعم. قال: ثم أقبل معاوية على أصحابه، فقال: لقد أصبح هذا زاهدًا فيما أنتم فيه راغبون.

(108) قالوا*: وعاش القَلَمَّس، وهو أمية بن عوف، دهرًا طويلًا ... وهو من حكماء العرب، وكان جده الحارث بن كنانة، وهو الذي يقوم بفناء البيت ويخطب العرب، وكانت العرب لا تصدر حتى يخطبها ويوصيها، فقال: يا معشر العرب، أطيعوني ترشدوا. قالوا: وما ذاك؟ قال: إنكم قوم تفرَّدتم بآلهةٍ شتَّى، وإني لأعلم ما اللَّه بكل هذا بِرَاضٍ، وإن كان ربَّ هذه الآلهة، إنه ليحبُّ أن يُعبَدَ وحده. فنفرت العرب عنه ذلك العام، ولم يسمعوا له موعظة. فلما حجَّ من قابل اجتمعوا له، وهم مُزْوَرُّون عنه، فقال: مالكم أيها الناس كأنكم تخشون مثل مقالتي عام أول، إني واللَّه لو كان اللَّه تعالى أمرني بما قلتُ لكم ما أعتبتكم ولا استعتبتُ، ولكنه رأيٌ مني، فإذا أبيتم فأنتم أبصر. أُوصيكم بخصلتين: الدِّين والحسب، فأما الدين فلله، ومن أعطيتموه عهدًا ففُوا له، ومن أعطاكم عهدًا فارعوا عهده حتى تردُوه إليه؛ فأما الحسب فبذل النَّوال ... فلما

حضرته الوفاة حضره أشراف قومه من كنانة، ومات بمكة، فقالوا: قُلْ نسمع، ومُرنَا نُطِع، وأوصِنَا نقبل، وزوِّدنا منك زادًا نذكرك به. فقال: أوصيكم بأحسابكم فإنها مَقدَمُ وافدكم، وشرفكم في محافلكم، وكفاف وجوهكم، وغنى معدمكم؛ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم؛ وإن كان من سواكم وتيَمَمَكُم فلا تُخْطُنَّه ما رجا فيكم، واستوصوا بذوي أسنانكم خيرًا، أجملوا مخاطبتهم، قدِموهم أمامكم، وزيِّنوا بهم مجالسكم، وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم، أقيموا لهم شرفهم، ولا تنزعوا الرئاسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أهلًا، وأوصيكم بالحرب، إن ظفرتم بقوم فابقوا فيهم، فإنه حسب لكم، ويد عند عدوِّكم، فإنَّ من ظفرتم به فهو ظافرٌ بكم لا بُدَّ، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه، فلا تقتلَنَّ أسيرًا فإنه ذحل عندكم ومصيبة فيكم، وإنما هو مال من أموالكم، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب، فلا تسألنَّ أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم، فلا يستأثر بعده أحدٌ لكم، وأكثروا العتاقة في أُسراء العرب، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم. وأوصيكم بالضيف، فإنَ كلا إذا قال لم يكد يُسمع منه حتى يقول الضيف، فلا يخرُجُنَّ من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم، وأوصيكم بالجيران فأكرموهم، فلا تغشوا منازلهم، وليصحبهم ذووا أسنانكم،

وامنعوا فتيانكم صحابتهم، وأوصيكم بالخفراء خيرًا فلا تُعَرِّموهم في غرمكم، واغرموا في غرمهم فإنَّهم عدَة لكم، يعينونكم ما داموا فيكم، وينقصونكم إذا فارقوكم، ويعينون عليكم إذا خرجوا من عندكم، وأُوصيكم بأياماكم خيرًا، شدُّوا حجبهن، وأنكحوهن أكفائهن، وأيسروا الصداق فيما بينكم، تنفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإذا نكحتم فاختاروا لكم ذوات العفاف والحسان أخلاقا، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم، وإنهن راؤون فيمن بقي من نسائكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منهنَّ، وإذا نكحتم الغريبة (يعني المرأة من غيركم) فأغلوا صداقها، وتزوَجوا في أشراف القوم، ثم أكرموا مثوى صاحبتهم ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مالها، واصرفوها على أحسن حالاتها، لا تُنقصوها من شيءٍ يكون لها، فإن كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلًا متاعها ظاهرة حاجتها غير راجعة فيكم غيرها. وأوصيكم بالصِّلَة، فإنها تُديم الأُلفة وتسرُّ الأُسرة، وأحذِّركم القطيعة فإنها ثُورِّثُ الضغينة، وتُفرِّق الجماعة، وإياكم والعجلة فإنها رأس السَّفه.

(109) قالوا: وعاش عمرو بن قمئة بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عُكابة ... تسعينَ سنة، وقال:

يا لهفَ نفسي على الشَّبابِ ولم	أفقِدْ به إذ فقَدْته أمَمَا
قد كنتُ في مَنْعَةٍ أُسَرُّ بها	أمنَعُ ضَيمي وأُهبِطُ العُصُما
وأسحَبُ الرَّيطَ والبُرود إلى	أدنَى تِجارِي وأنفُضُ اللِّمَمَا

وقال حين مضت له تسعون حِجَة، وهي قصيدة:

كأنِّي وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً	خَلعتُ بها عني عِذارَ لِجامي
رَمَتْنِي بناتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أرى	فما بالُ من يُرمَى وليس بِرَامِ
فلو أنَّها نُبْلٌ إذًا لاتقَّيتُها	ولكنَّما أرمي بغيرِ سهامِ
إذا ما رآني النَّاسُ قالوا ألمْ تكُنْ	حديثًا جديدَ البَزِّ غيرَ كَهَامِ
فأفنى وما أُفني من الدَّهرِ ليلةً	ولم يُعْنِ ما أفنيتُ سلكَ نظامِ
على الرَّاحتين مرَّةً وعلى العصا	أنوءُ ثلاثًا بَعدَهُنَّ قِيَامي
وأهلَكَني تأميلُ يومٍ وليلةٍ	وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

(108) قالوا*: وعاش ذو الإصبع العدوانيُّ، وهو حُرثان بن مُحَرَث من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ... ثلاثمئة سنة، وقال:

أصبحتُ شيخًا أرى الشَّخصينِ أربعة	والشَّخصَ شخصينِ لَمَّا مَسَّني الكِبَرُ
لا أسمعُ الصَّوتَ حتَّى أستديرَ لَهُ	ليلًا وإن هُوَ ناغاني به القَمَرُ

وإنما قال: (ليلًا) لأن الأصوات هادئة، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضَجَّةِ الناس ولغطهم أبعد ...

(تمَّ كتاب المعمرين والحمد للَّه،

وصلى اللَّه على رسوله وسلم).

يقول العبد المسكين مصححه أحمد أمين

بحمد من إليه يرغب كل حي، وبيده مُنتهى كل شيء، تم طبع كتاب: المُعمرين وطرف أخبارهم، وما نصحوا به عند مُنتهى أعمارهم، فهو لعمر الحق عِظَة للمُتَّعِظ، وإيقاظ للمُستيقِظ، وديوان أدب للأديب، وتُحفة عروس تُزَفُّ للأريب. ولم آلُ جهدًا في تصحيحه، وتوشِيَة طرره وتنقيحه، بعد قراءته على حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ: أحمد بن الأمين الشنقيطي، نزيل القاهرة، جزاهُ اللَّه الحُسنى في الدنيا والآخرة، والحمد للَّه أولًا وآخرًا ... وصلى اللَّه على سيدنا محمد، وعلى آلة وصحبه وسلم.

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع